

الفصل الأول

اتجاهات الفكر الجغرافي^(١) العراقي القديم وآفاقه

احتوى الفكر الجغرافي العراقي القديم على روابط مشتركة بين جوانب المعرفة المختلفة للفكر الجغرافي. وهذا بحد ذاته يعد مؤشراً يدعم كون الفكر الجغرافي نتاجاً عالمياً برزت فيه بعض الحضارات دون غيرها تبعاً لما تيسر لها من معارف استخدمتها في مجال تطوير هذا الفكر فتباينت مراكزها تبعاً لتباين استخدام تلك المعارف. وجاء الفكر الجغرافي العراقي القديم بجوانب متعددة من المعرفة الجغرافية والتي يمكن ايجازها بالنقاط الآتية:

أولاً: العناية بمسألة خلق السموات والأرض

تمثل الأرض الدعامة الأولى التي بني عليها الفكر الجغرافي، فجميع الحضارات عنت بموضوع خلق الأرض، وعلاقتها بالدعامة الثانية التي تتمثل بالسماء وما فيها، ولاسيما الشمس والقمر والنجوم، وفيما يتعلق بالحضارة العراقية القديمة فقد انعكست هذه العناية على أوجه هذه الحضارة الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

لقد كان العراقيون القدماء ومنذ العصور السومرية وربما أقدم من ذلك قد تصوّروا الأرض وما فيها صورة أو نسخة لما في السماء فالفرات ودجلة وجميع الأراضي والبلدان وحتى المعابد صورة ثانية لاصول موجودة في السماء^(٢).

كما تصوّروا أن الأرض على هيئة نصف كرة مقلوبة أو قبة طافية في المحيط وتعلو الأرض السماء وهي بسبع طبقات، (في الأكادية تكتب *tikbu* أو تكتب *tikpu*) وهو ما يتطابق

(١) ترجع كلمة جغرافية (Geography) إلى أصل إغريقي. وهي كلمة لاتينية مكونة من مقطعين جيو (Geo) بمعنى الأرض، وجرافية (Graphia) بمعنى: الوصف. أي: أن الكلمة تعني: وصف الأرض. فالدراسات الجغرافية تُعنى بدراسة الظواهر الكونية والفلكية المختلفة. ومنها الأرض والمجموعة الشمسية وخطوط الطول ودوائر العرض ومواقع بعض النجوم وغيرها. وعلى الرغم من كثرة المفاهيم الجغرافية وتنوعها إلا أن بينها قواسم مشتركة فجميعها يتفق على أن سطح الأرض ميدان الدراسة الجغرافية. وأن الظواهر التي تشغل هذا السطح بمثابة موضوعاتها. للمزيد ينظر: (السماك، محمد أزهري سعيد: الجغرافية السياسية - أسس وتطبيقات -، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٨، ص ٢١).

(٢) فضيل، عبد خليل والمشهداني، إبراهيم عبد الجبار: الفكر الجغرافي، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص ٧١.

كذلك مع ما جاء في القرآن الكريم في مواضع عديدة من آيات سور القرآن الكريم مثلاً: ((الْم تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا)) سورة نوح آية (١٥) وهي كذلك على هيئة القبة وتقوم السماء كالبيت فوق الاساس، وقسموا قشرة الارض الى ثلاث طبقات، الطبقة العليا وهي الظاهرة التي يسكن فيها البشر، والطبقة الوسطى موضع المياه، والطبقة السفلى موضع بعض الآلهة وأرواح الموتى^(١).

أما موضوع خلق الارض وما يحيط بها فيشار الى مختصر قصة الخليقة التي تمثل الفكر الادبي الذي وصلنا من تأريخ العراق القديم، إذ يُستدل من قصة الخليقة البابلية ان المياه الاولى كانت المادة الاولى التي ولدت منها جميع الاشياء، وكانت هذه المياه مضطربة مشوشة ومؤلفة من عنصرين من مائين مختلطين، الماء العذب (العنصر المذكر) والماء المالح (العنصر المؤنث)، وقد جسم البابليون هذين العنصرين من الماء وعدّوهما إلهين، وهما أبسو و تيامة ومن هذين الإلهين الابوين ولدت جميع الإلهة، وقد فصل الإله مردك جسم تيامة وكون من نصفه الاول السماء ومن نصفه الثاني الارض، ثم خلق الكواكب والنجوم بالاشتراك مع أبيه الإله ايا، ثم خلق الانسان من دم احد الإلهة. وفي رواية اخرى عن الخليقة ان الانسان خلق من دم إله ومن تراب الارض، والظاهر ان خلق الانسان قد جاء بعد خلق الكون والحيوان والنبات، ثم خلقت الاشياء الاخرى الخاصة بالعمران البشري من زرع ومعدن وبناء^(٢).

وقد احتوت الآداب السومرية العديد من الآراء عن اصل الوجود، وجاءت هذه الآراء على شكل اساطير دينية ولكن اذا اخرجت من غلافها الاسطوري لم تكن تلك الآراء بدائية ساذجة، بل انها معادلات فلسفية تخص اصل الكون واصل الوجود، وهذه الآراء سبقت ما جاء به اليونانيون متمثلاً بمبدأ العناصر الاربعة الاولى (الهواء، الماء، والتراب، النار)^(٣).

ومن الاساطير القصيرة التي تتعلق بالخليقة، قطعة ادبية عن خلق الإله مردك للعالم وقد دونت باللغتين السومرية والآكدية، أي: انها ثنائية اللغة (Bilingual) يرجع تأريخها الى العصر البابلي الحديث (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) وخلصتها انه: "في البدء لم يكن موجوداً أي كائن، فلا بيوت مقدمة للآلهة، ولا احراش قصب واشجار، ولم تصنع آجرة ولم يُبن بيت ولم تشيد

(١) باقر، طه: مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج ١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٣، ص ٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(٣) باقر، طه: مقدمة في ادب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦، ص ٨٦.

مدينة. فلم تكن نَفَرٌ قد وجدت ولا معبد كور **KUR** ^(١) ولم تؤسس اوروك ولم يشيد معبد أنا **ANNA** ولم تقم اريدو، ولا معبدها ايسو **ABSU**. كانت الارض اليابسة بحرا. ثم شيدت اريدو واقيم معبد ساكيلا **SAGILA**، وشيدت بابل من قبل مردك. واقام الإله مردك قاعدة (ارضية) من القصب وصنع ترابا نثره على قاعدة القصب، وخلق البشر لكي يريح الإلهة في معابدها، وخلق الحيوانات وجميع الاحياء في البرية، وخلق دجلة والفرات ودعاهما باسميهما، واوجد الحشائش واحراش الاهوار وغابات الشجر... اقام مردك سدا في سيف البحر وحول الاهوار ارضا يابسة" ^(٢).

كما جاءتنا قطعة ادبية باللغة السومرية تصف تنظيم الإله انكي للكون اطلق عليها الباحثون المختصون عنوانا هو **انكي وتنظيم الكون** وخلاصة الاسطورة ان الإله انكي قام برحلة في اقاليم الارض المعروفة آنذاك ابتداءً من بلاد سومر ليسبع عليها بركاته وينشر عناصر العمران والحضارة فيها. واضطلع من بعد ذلك بتنظيم احوال الارض وانهارها وبحارها، فملأ نهري دجلة والفرات بالمياه العذبة وبالاسماك، واوجد احراش القصب والاجر وكثر الحيوانات. ومن اجل تنظيم شؤون المجتمع الانساني عين إلهة ^(٣) يتولى كل منها ناحية معينة من النشاط الحضاري. فمثلا خصص للاشراف على الانهار وشؤون الري إليها اسمه ايبيلولو والإله اينكندو **ENKINDU** للفلاحة والزراعة والإلهة أشنان **AŠNAN** للخضار والغلال، والإله دُموزي **DUMUZI** (تموز) للماشية والغنم والرعي وغيرها ^(٤).

تصور العراقيين القدماء للكون

لقد تصور العراقيون القدماء الارض مسطحة، سابعة على سطح نهر عظيم مياهه عذبة، او على سطح محيط كوني، تنزّ منه المياه الجوفية في الابار، وفي مكان ما من نهاية الارض في هذه الجهة من المحيط يوجد سدّ او اساس السموات تستقر عليه قبة السماء او بتعبير ادق يستقر عليه عدد من القباب السماوية، ذلك ان كل نجم او كوكب ساّر في واحدة

(١) (أي. كور) معبد الإله (انليل) في نفر و(أي. أنا) حارة المعابد المقدسة في الوركاء المخصصة

لعبادة انو وعشتار (انانا) و(أي. ساكيلا) معبد الإله مردك في بابل.

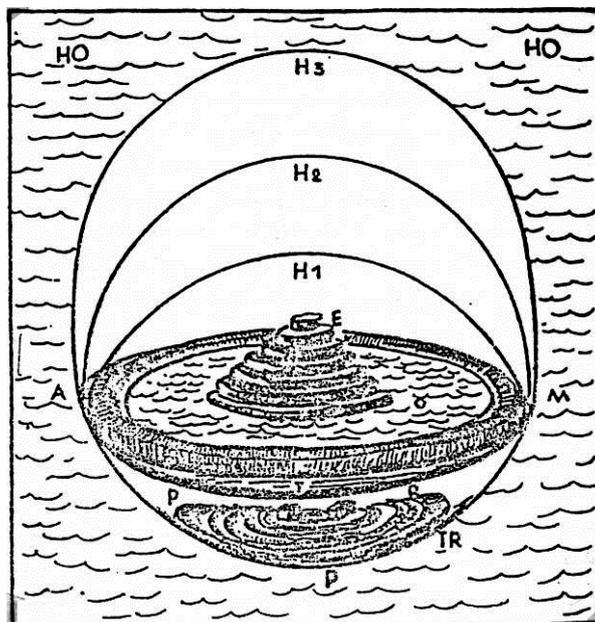
(٢) باقر: مقدمة في ادب ، ص ٨٧.

(٣) تُنظر قائمة إلهة الظواهر الجوية والمظاهر الجغرافية (ملحق رقم ٦).

(٤) باقر، مقدمة في ادب العراق القديم، المصدر السابق، ص ٩٠ - ٩١.

منها - الإله سين في قبته، والإله شمش في قبته وكل من الإلهة عشتار (الزهرة) وغيره من الكواكب في قبته وتُعد سماء الإله أنو أعلى قبة بين قباب النجوم الثابتة^(١).

وعلى حافة الارض، هناك الجبلان - التوام، جبل ماشو بابهما التي يمر من خلالها شمش (إله الشمس) ، وهو يقطع طريقه كل يوم. واستناداً الى وجود قوارب احيانا، في المدافن السومرية القديمة، يمكن القول ان ثمة اعتقاد في مثل هذه المرحلة التاريخية، الالف الثالث ق.م، مفاده انه ينبغي على الاموات ان يتوجهوا الى مدينة ايريشيكال عبر النهر العظيم وعبر مياه الموت، واغلب الظن ان شمش، إله الشمس كان يقوم بهذه الرحلة وهو يقطع ليلاً هذا الطريق عبر العالم الاسفل من المغيب الى المشرق، وذلك على الرغم من ان النصوص المسمارية التي تعود الى تاريخ احدث لم تحتفظ بما يشير الى ذلك وان طريق الشمس قد تم تصويره على نحو اخر. وقام البعض من العلماء المتخصصين برسم صورة لهذا التصور العام للكون، وفيما يأتي أنموذج مخطط لأحد تلك التصورات^(٢).



- (١) الراوي، المناخ في النصوص المسمارية (الادب)، بحث غير منشور، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص ٦.
(٢) الراوي، المصدر السابق، ص ٦ - ٧ وللتفصيل حول مفاهيم العراقيين القدماء في هذا المجال ينظر: حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، بغداد، ١٩٨٦.

مما تقدّم من الممكن اجمال بعض الجوانب التي تمثل ملخصاً لآراء العراقيين القدماء في موضوع نشأة الكون:

١. كان في البدء عنصر الماء وقد كان، عنصراً ازلياً إلهياً في الوقت ذاته، وتولد من عنصر الماء عنصر آخر هو عنصر الأرض والسماء متحدتين وكانت الأرض والسماء إلهين كذلك.
٢. تولد من السماء والأرض المتحدتين عنصر غازي هو الهواء المتمدد الذي فصل بتمدد السماء عن الأرض وجسموا إلهوا واتخذوه إلهاً وهو الإله انليل. وقد تولد من إلهوا القمر، والقمر ولد الشمس، وجسموا كلاً من القمر والشمس وعدّوهما إلهين.
٣. بعد انفصال الأرض، عن السماء نشأت أنواع الحياة الأخرى من نبات وحيوان وإنسان على الأرض، وقد تصوروا أن أصل الحياة والأشياء قد جاء من اتحاد إلهوا والتربة (الأرض) والماء بمساعدة الشمس، وهذه هي نظرية العناصر الأربعة^(١).

ثانياً: معرفة الاتجاه:

تعد معرفة الاتجاه جانبا مهما من جوانب المعرفة الجغرافية عند العراقيين القدماء، وكانت الشمس أول الظواهر التي استخدمت لمعرفة الاتجاه فعن طريقها امكن تحديد الجهات الأساسية فالجهة التي تشرق منها الشمس والجهة التي تغرب فيها كانت أول الجهات التي اهتموا إليها ثم قسموا أعلى الشيء ما بين الشرق والغرب فسموه شمالاً وأسفل الشيء ما بين الشرق والغرب فسموه جنوباً. وعلى هذا الأساس اهتموا إلى معرفة الجهات الأساسية نهائياً. وبقيت مشكلة معرفة الجهات ليلاً ولاسيما في الليالي غير المقمرة. فنتيجة لحركة الأرض وتغير الموقع الظاهري للنجوم تظهر مشكلة تحديد الاتجاه واضحة، وتبدو المسألة أكثر تعقيداً في البحار والصحاري، وقد استعانت معظم الحضارات القديمة بظاهرة ثبوت اتجاه الرياح فاستعملتها في تحديد الاتجاه^(٢).

تتشابه هذه الأسس الفكرية في معظم الحضارات القديمة وهي تمثل قاعدة مهمة للمعرفة الجغرافية بوصفها من المعارف الأساسية والأصلية فأثارت فيه البحث عن الوسائل التي من شأنها أن تقف في وجه تلك المحفزات فسبقت غيرها في الفكر الجغرافي. ومع أن الفكر الجغرافي يمثل نتاجاً عالمياً ساهمت فيه معظم الأمم إلا أن بعض المجموعات البشرية قدمت أكثر من

(١) باقر، طه: موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية،

مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص ٨٢.

(٢) فضيل، وزميله، المصدر السابق، ص ٦٨.

غيرها للفكر الجغرافي العالمي، ومنها العراقيون القدماء. وهذا ما سوف نتطرق اليه من خلال استعراض دورهم ومساهماتهم في المعرفة الجغرافية التي اعتمد عليها الفكر الجغرافي العالمي في حاضره. ومنها دورهم في مضمار معرفة الاتجاه^(١).

ومن هنا نجد ان الاتجاهات قد وجدت صداها في حياة العراقيين القدماء ومعتقداتهم الدينية وادبياتهم، حيث ان هذا الاستخدام يعود الى الالف الاول ق.م. ويمكن عزوه الى اواخر الالف الثالث ق.م بوساطة نص من مجموعة اناشيد المعبد التي جمعها **انخيدو** انا ابنة شروكين (سرجون) الأكدي. اذ تتحدث عن نُبور (نُقَر حالياً)^(٢) فنقول: "آه يانبور على يدك اليمنى ويدك اليسرى سومر واكد (على التوالي)"، أي ان سومر تقع الى يمين نُبور (نُقَر) واكد تقع الى يسارها، وبدقة اكثر أي ان سومر تقع الى الجنوب - الشرقي من نُبور، واكد الى الشمال الشرقي منها. الا ان المعنى يبدو واضحاً وهو: ان اليمين هو الجنوب عينه واليسار هو الشمال عينه والاتجاه هو في الحقيقة اتجاه الشرق وهذا ما ذهب اليه بعض الباحثين في مقابلة او مقارنة هذه التسميات الطبوغرافية والدلالة الادبية بالخرائط والمخططات الفعلية التي عُثِر عليها في بلاد الرافدين والعائدة الى العصور القديمة؛ اذ وجد أحد الباحثين من خلال دراسته للخريطة الاكديّة القديمة من **نوزي** (ينظر لها بالتفصيل في الفصل الثالث مبحث الخرائط التي ابين التضاريس) ان الشرق بما لا يقبل الشك يقع في اعلى (قمة) الرقيم، على الاقل اذا امسكنا بالرقيم على نحو تبدو فيه اسطر الكتابة المسمارية من اليسار الى اليمين. من هنا فاذا كان لنا ان نقرأ الاسطر من الاعلى الى الاسفل كما هي الحال في العصر السرجوني (سرجو الأكدي)، فان الشمال سيكون في اعلى الرقيم^(٣).

وفي النص المسماري المعروف بـ **جغرافية شُرُكين (سرجون) الأكدي**، يتطابق شعبا امورو ولولوبو مع الاتجاهات، اذ يحدد لنا الكاتب الاموريين امُرُّ **amurru** بأنهم "شعب الجنوب(وربما قصدوا الجنوب الغربي لأن امُرُّ تعني الغرب وهو الموطن الذي قدم منه

(١) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٢) نفر: من المدن السومرية الشهيرة وتقع بالقرب من قضاء عفك وتبعد عنها بمسافة ٧ كم، ومدينة نفر كانت مركزاً لعبادة الاله إنليل وتلفظ باللغة السومرية (نبرو) وبالاكديّة (نبرو)، (رشيد، فوزي: الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ط١٩٨٧، ٣، ص ٢٢٨).

(3) Hallo, W. Origins, "The Ancient Near Eastren Background of Some Modren Western Institusion", E.J.Brill, Leiden, New York KOLN, 1996, P. 84.

تتطبق هذه الحالة مع الصيغة العربية اذ ان اليسار هو الشمال واليمين هو الجنوب كما رأى بعض الجغرافيين العرب المسلمين ان (الشام) انما سُميت كذلك لانها تقع الى يسار (شمال) الحجاز و(اليمن) لانها وقعت الى يمين (جنوب) الحجاز.

الاموريون)، في حين يحدد اللولوبيين بأنهم "شعب الشمال"، وربما يشير هذا الى نظام تحديد مواقع الشعوب بالجهات الاربع⁽¹⁾ كما نلمس هذا النظام الموجز بشكل مختصر في النص التنجيمي الآتي: "جهة الجنوب، بلاد عيلام، جهة الشمال، بلاد اكد، جهة الشرق، بلاد سوبارتو وكوتيوم (شرق كردستان العراق)، جهة الغرب، بلاد آمورو"⁽²⁾.

كذلك نجد تسميات خاصة مثل يمين ويسار تدخل ضمن الكلام عن الشمال والجنوب، على نحو ما مثلاً نجد في نصوص مدينة ماري "تل الحريري"، وما هو متعلق بجهة اليمين واليسار فاننا في الواقع لا نعرف في الاصل تمييزاً خاصاً ومفهوماً معيناً لما يراد بجهة اليسار في حضارة بلاد الرافدين، فذكر ريح اليمين يقصد به مثلاً ريح الجنوب وهي ريح مؤذية بينما الريح من اليسار ويراد بها ريح الشمال تكون ريحا علية "طيبة". علينا بعد ذلك ان نفهم اهمية تقسيم الحيز المكاني او الفضائي في مجال وضعية المدن والمنطقة الواحدة، أي: مدن في جهة اليسار واخرى في جهة اليمين. كذلك هي الحال بالنسبة للحقول المزروعة ويلاحظ في جهة الحقل كمية الضريبة المدفوعة وهي نسبة العشر⁽³⁾.

كذلك الحال في علم الطب وتشخيص الامراض اذ نفهم من دراسات الباحث رينيه لابات: ان تشخيص مرض ما في الجهة اليسرى من جسم المريض يمكن ان يحمل تفسيراً اكثر مما لو كان المرض مشخصاً في جهة المريض اليمنى. واخيراً فان فهم جهة اليسار بهذا المفهوم يمكن ان يكون بتأثير دراساتهم للكواكب والافلاك ومن تأثير علم التنجيم والعرافة والفأل ايضاً⁽⁴⁾.

ان مسألة اتجاه الخرائط لا يمكن فصلها عن الاتجاه في المباني ولا سيما مباني المعابد اذ ان بعض الباحثين في الاونة الاخيرة ابدوا ميلاً اكبر للتعامل على نحو مسهب مع هذا الموضوع، والمسألة المبدئية هي فيما اذا كانت اتجاهات المباني تُحدد على وفق نقاط الاتجاهات الاربع او على وفق النقاط الوسطى بين هذه الاتجاهات. وبعد ذلك، تأتي مسألة اخرى هي فيما اذا كانت المعابد أُريد عند إنشائها ان تواجه الشمس الطالعة ام تواجه الشمس الغاربة او ان تسقط عليها اشعة الشمس في اوقات معينة في اثناء النهار او في اثناء السنة.

(1) Horowitz, Wayne "The Sargon Geography in Mesopotamia Cosmic Geography", Eisenbrauns Winona lake, Indiana, 1998, P. 90.

(2) AFO. 19, P.33, Ao 8196 IV, 31 – 32.

(3) كاسان، مدام ايلينا: مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين القديم، ترجمة: وليد الجادر، مجلة

سومر، 31ع، 1975، ص343.

(4) المصدر نفسه، ص343.

ويبدو ان هناك دلائل على ان الاتجاه كان صوب الشمس وان هذا الاتجاه ينطبق ايضاً على بعض الخرائط العراقية المبكرة ان لم نقل كلها^(١).

وقد وصلنا العديد من المصطلحات ذات العلاقة بالاتجاهات، فقد عبروا عن الاتجاه بصيغة **UB** في اللغة السومرية يقابلها كِبْرُ *kibru* في اللغة الأكديّة ، فيما ميزوا بين الجهات فاطلقوا على كل جهة تسمية معينة فعرفوا جهة الشّمال بصيغة *iltānu* / *ištānu* ، فيما عبروا عن جهة الجنوب بـ *šūtu* وجهة الشرق بصيغة *šadû* ، واخيرا اطلقوا على جهة الغرب صيغة *amurru*^(٢). في حين عبروا عن الجهات الاصلية الاربع او ما تعرف بالخوافق بصيغة كِبرات اربت / اربت *kibrāt* *erbetti / arb a'ti* او كِبرات *kibrātu* بمفردها. كما وردت في النصوص المسمارية عبارة *battu battu / e* بمعنى من كل الجهات^(٣). كما ميزوا بين الاتجاهات وجانبي اليمين واليسار، فعبروا عن اتجاه اليمين بصيغة *imnu* ، وعن اتجاه اليسار (الشّمال) شُميلُ *šumēlu*^(٤).

فضلا عن العديد من المفردات ذات العلاقة مثل: مخرت *mehretu* أي جهة مقابلة و **IGI** في اللغة السومرية وبأَن *pānu* او بانات *pānātu* او إِن بان *ina pāni* في اللغة الأكديّة بمعنى: امام و طيخو *tehû* أي: جوار و لميت *limītu* بمعنى: محيط الشيء او جواره و شد *šiddu* أي: جانب^(٥) و شَبَل *aplū* بمعنى: اسفل و ال، ان مَحَّ *ina muhhi, elu* أي: فوق، على، في الاعلى و شَأ *ŠÀ* في اللغة السومرية و لِبُّ *libbu* في اللغة الاكديّة بمعنى: في وسط، في قلب و ا/وَرِكُ *a/warku* أي: خلف، بعد، وراء و قرب *qerbu* أي: قرب، قريب و أَلَانُ *ullānu* و روق *rūqu* بمعنى: بعيد^(٦) و صيا أو صيت

(1) Hallo, Origins, Op, Cit, P. 84.

(2) CDA, P. 156, P. 135, P. 391, P. 345, P. 16.

- استخدم العراقيون القدماء للتعبير عن الاتجاهات العلامة نفسها المعبرة عن الرياح وانواعها وهي علامة **IM** السومرية يُنظر: جدول العلامات الدالة ذات البعد الجغرافي، (ملحق رقم ٧).

(3) CDA, P. 156, P. 41.

(4) CAD, P. 129, P. 384.

(5) CDA, P. 206, P. 263, 182, P. 371.

(6) CDA, P. 358, P.71, P. 181, P. 434, P.

صيتُ *šia, šētu* في اللغة الأكديّة أي: مشرق و اريبُ *erēbu* وشلانُ *šillān* أي: مغرب كما عرفوا الافق وعبروا عنه بصيغة اشدُ *ešdu* و الدشم *ildi šame* (١).

ومن الجدير بالذكر ان الجهات الاربع شغلت عناية العراقيين القدماء اذ عدوها مرادفة للكون او العالم، لذا فان حكامهم وملوكهم ومع تطور نظام الحكم لديهم كان شغلهم الشاغل ان يوسعوا نفوذهم لاسباب شتى وذلك بضم اكبر مساحة ممكنة للهيمنة على اراضٍ واقليم واصقاع شاسعة من مناطق الشرق الادنى القديم، لذلك وجدنا ملوكهم وفي فترات مبكرة من تأريخ العراق القديم، يفتخرون بسيطرتهم على مناطق شاسعة من العالم القديم ويعبرون عن ذلك مجازاً وبصيغة لا تخلو من المبالغة احياناً، فهذا نرام-سين (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق.م) حفيد شَرَوَكين (سرجون) الاكدي (٢٣٧١ - ٢٣٣٤ ق.م) الذي يعد اول من خلع على نفسه لقب ملك الجهات الاربع، نجده يضيف على نفسه هذا اللقب الذي وصلنا بصيغتين: الاولى في اللغة السومرية **LUGAL. AN. UB. LIMMU. BA** والثانية في اللغة الأكديّة شار كبراتم اربيم **šar. Ki** *ib - ra - tim ar - ba - im* (٢).

وسار على نهج نرام-سين الملوك والحكام العراقيون القدماء باتخاذهم لهذا اللقب، اذ نجد هذا النعت يتكرر عند ملوك سلالة اور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) وملوك سلالة ايسن - لارسا (١٥٩٥-١١٥٧ ق.م) وملوك العصر البابلي القديم ومنهم خَمْرِب (حمورابي) (سنوات حكمه ١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) والملوك الكشيين (٣) واستمر حتى اصبح تقليداً شائعاً ضمن سلسلة القاب ملوك العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) ولاسيما ملوك السلالة السرجونية وهذا ما يتضح جلياً في حولياتهم التي خلدوها وسطورها على منحوتاتهم ونُصِبِهِم (٤). اذ يستهلون

(1) CDA, P. 288, P. 420, P. 307, P. 337, P. 77, P. 372, P.82,126.

(2) Hallo. William. W, "Early Mesopotamian Royal Titles: A philologic and Historical Analysis", American Oriental Society, New Haven, Connecticut, 1957, P. 49.

(٣) استمرت النعوت والاصاف الاتية مع صيغة *kibrātum arba'um* من العصر الاكدي والعصور اللاحقة اذ غالباً ما نقرأ عبارات: *mutallik kibrāt erbetim* أي "جواب الاقطاب الاربع" و *LUGAL mu - uš - te - eš - mi / ki - ib - ra - tim ar - ba - im* أي "الملك الذي جعل الجهات الاربع طيعة" وغيرها. (ينظر. (Hallo, Op. Cit, P. 54).

(٤) لقد لوحظ ان النصب الآشورية والبابلية، وخلافاً لنصب اوربا الغربية لا تتجه الى جهات البوصلة الاربع، بل الى جهات فرعية، أي مثلاً الى الشمال الغربي يدل الشمال، والى الجنوب الشرقي يدل الجنوب. ويعتقد ان هذا التوجه يرتبط باتجاه الرياح في بلاد الرافدين. (كونتينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان علي التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٦، ص ٣٧٥).

الحوالية بالعبارة التقليدية الآتية: "الملك ملك الجهات الاربع شرّم شار كبرات اريبتيم
šarrum šar kibrāt 4-tim (1).

ولم يقتصر هذا اللقب على الملوك العراقيين القدماء فحسب بل سرى هذا التقليد الى
ملوك وحكام الاقطار المجاورة لبلاد الرافدين فقد استعاره واتخذه العديد من الحكام الكوتيين
والعيلاميين (2) وغيرهم من جملة ما استعاروا من عناصر الحضارة العراقية القديمة.

ومن الصور المشرقة والدالة على اصالة الحضارة العراقية القديمة، تبرز الخريطة، في
مقدمة تلك الصور، تلك الأداة التي ابتكروها لتمثيل سطح الارض وتوضيح مظاهرها الطبيعية،
اذ لم يفت محررو ومنتشئو تلك الخرائط ان يحددوا ويشيروا الى الاتجاهات، هذا الجانب المهم
ضمن الاسس الرئيسية في انشاء الخريطة ويعد من اهم عناصر رموز الخريطة ولغتها، ويتضح
ذلك بشكل لافت للنظر في خريطة نوزي (كاسور) بالقرب من كركوك والتي يرجع تأريخها الى
العصر الأكدي (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق.م)، والتي تعد اقدم خريطة تضاريسية تظهر عليها
الاتجاهات الاربعية، وقد تلمّ الجزء الذي كتب عنده اتجاه الجنوب. وبرزت الاتجاهات الثلاثة
الاخري، وقد وردت الكلمات الآتية:

إم. مار. تو **IM. MAR. TU** = الغرب وضع اسفل الخارطة.

إم. كور **IM. KUR** = الشرق وضع في اعلى الخارطة.

إم. مير **IM. MIR** = الشمال وضع داخل المستطيل في الجانب الايسر من الخارطة (3).
(تنظر: خريطة نوزي في فصل الخرائط).

ومن الفترة نفسها، أي: من العصر الاكدي وصلتنا خريطة تمثل ارباض وريف مدينة
كرسو (تلو حالياً) وقد حددت وشارت الى الاتجاهات ولم يتبق منها سوى اتجاهين فقط وهما ما
سلما من الكسر إذ وصلتنا الخريطة مهشمة وغير مكتملة ومما اشير من الاتجاهات المفردات
IM. MIR في اللغة السومرية وتعني: الشمال في اللغة الأكديّة اشتانُ *ištānu* و **IM. MAR. TU**
وتعني الغرب في اللغة السومرية وتقابلها كلمة *amurru* في اللغة الأكديّة
، ومن المحتمل ان الخريطة كانت تضم مفردات: الشرق **IM. KUR. RA** في اللغة السومرية
=شُدو *šadû* في اللغة الأكديّة ، والجنوب **IM. U18. LU** في اللغة السومرية = سوتُ *šūtu*

(1) RIMA,2/I, P. 210.

(2) Hallo, "Early Mesopotamian Royal Titles", P. 52.

(3) اسود، فلاح شاكر: علم الخرائط- نشأته وتطوره ومبادئه، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٨، ص ٢١.

في اللغة الأكديّة (تنظر: خريطة ارباض وريف منطقة كرسو في فصل الخرائط) وكلتا الخارطتين المتقدم ذكرهما تشيران الى الشمال بلفظ اليسار^(١).

كما تمت الاشارة الى الاتجاهات في خريطة العالم البابلية بشكل مثلثات ترمز الى المناطق البعيدة جداً، ومن الطريف ان نرى المثلث الشمالي وقد كتبت في داخلها ملاحظة تقول **البلاد التي لا ترى فيها الشمس قط**^(٢). (تنظر: خريطة العالم البابلية في فصل الخرائط).

ومن الامور التي افاد منها العراقيون القدماء من معرفة الاتجاهات، هي تحديد الاراضِ من الجهات الاربع باقرب علامة دالة مثل حدود ارض اخرى او قناة مائية وغيرها، اذ يعد تحديد الارض من اهم الصيغ العامة لاحجار الحدود المعروفة بـ **كُدُرُ kudurru**^(٣). ونقتبس هنا نموذج يمثل تحديد قطعة ارض جاء مدوناً على حجر كُدُرُ من فترة حكم الملك الكشي - ادد - شم - اصر (١٢١٨ - ١١٨٩ ق.م): "اور - بيلت - موبلطات - متي خالصها، الطول الاكبر (للقطعة) باتجاه الشمال مجاور بيت - اخو - ات []، الطول الاصغر (للقطعة) باتجاه الجنوب مجاور بيت تي - [] العرض الاكبر (للقطعة) باتجاه الغرب على ضفة قناة نينيا، العرض الاصغر (للقطعة) باتجاه الشرق باتجاه غابة (اجمة) القصب. الملك ادد - شم - اصر ختمها الى اور - بيليت - موبلطات - متي بن سامي العراف اخو تاكل - انا - ايليشو اعطاها"^(٤).

(1) Salvini, B. A., "Une Carte Topographique des environs de la ville de Girsu (pays de Sumer), Geographia Antiqua 1/ 1992, P. 58.

(٢) كونتينو، المصدر السابق، ص ٣٧٥.

(٣) احجار الحدود كُدُرُ *kudurru* هي عبارة عن اشكال مخروطية قد تكون من الحجر او من الطين المفخور، والحجرة الواحدة منها غالباً ما تقسم الى قسمين خصص قسمها الاول (الاعلى) لرموز الآلهة اما قسمها الثاني (الاسفل) فيحتوي على النص الكتابي المدون بالخط المسماري، وكانت الغاية من هذه الاحجار هي توثيق نقل ملكيات الاراضِ الممنوحة من قبل الملك الى بعض الاشخاص، او من شخص الى اخر، وفي اغلب الاحيان لا يزيد ارتفاع هذه الاحجار على متر واحد، واقصى قطر لها بحدود نصف متر. للمزيد من المعلومات عن احجار الحدود ينظر: العبيدي، خالد حيدر عثمان، احجار الحدود البابلية (كدور). دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠١.

(٤) العبيدي، المصدر نفسه، ص ٩٨.

ثالثاً: معرفة قياس الزمن (تنظيم الوقت والتقويم):

مما لا شك فيه ان للوقت والمواقيت اهمية بالغة في حياتنا اليومية، ولا يغيب عن ذهن أي منا، لما للوقت من تأثير في سير اعمالنا وتنظيم حركة الناس، لذا فاننا نسير على وفق نظام دقيق خاص بقياس الوقت وتحديد و ربط كل ما يحدث من احداث بوقت معين. واذا اردنا العودة الى اصول هذا النظام والى الاسس التي ارتكز عليها وجذوره التي استمدت منها مفردات توقيتنا بادق تفاصيله، نجد انه كان للعراقيين القدماء اسهامات مهمة في وضع عدد من تلك الاسس، فقد كان نظام التوقيت موضع عناية العراقيين القدماء، ومن معارفهم تحديد عدد الايام وحساب الساعات والدقائق التي تفصل بين كل اعتدال وانقلاب شمسي، ولكن على وفق السنة النظرية التي يبلغ عدد ايامها ٣٦٠ يوماً فقط.

ويمكن ان تعد ظاهرة تعاقب الليل والنهار من اول الوسائل التي استخدمها الانسان لقياس الزمن، تلاها تباين حركة القمر الشهرية وتغير الفصول، كل هذه الظواهر دفعت للبحث عن معرفة الوسيلة التي يتم بموجبها تحديد العلامات الزمنية بين تلك الظواهر للاحتياط لها^(١).

والواقع ان اهل المعرفة في العراق القديم قد عنوا برصد الاجرام السماوية منذ اقدم الازمان لحاجتهم الكثيرة الى ضبط الفصول والمواسم الزراعية، واخذوا يدونون ملاحظاتهم وارصاداتهم منذ مطلع الالف الثاني ق.م فانتقلوا من طور المعارف العملية الى طور البحث والعلم المنظم في الفلك^(٢).

كما ان الفلك في العراق القديم كان اول فلك رياضي في تأريخ علم الفلك، إذ استخدم الفلكيون معارفهم الرياضية المتقدمة بحيث انهم استعاضوا في القرون الاخيرة ما قبل الميلاد عن الارصاد المباشرة والحسابات الفلكية مثل ضبط اوقات اوجه القمر والشهر القمري ومواعيد الكسوف والخسوف وحساب الفصول واطوال الليل والنهار^(٣)، كما انهم استعانوا بمواعيد ظهور الهلال واكتماله للتحقق من المواقيت على وفق درجات الزوايا التي يمكن رؤية ظهور الهلال

(١) فضيل، وزميله، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٢) عن خلاصة الفلك البابلي والبحوث الاصلية التي نشرت عنه ينظر:

Neugebauer.O, "The Exact Sciences in Antiquities", 2nd ed., New york 1957, P.7ff.

(٣) باقر، موجز في تاريخ العلوم، المصدر السابق، ص ٨٧.

واختفائه بوساطتها. وللأسف لا يمكننا العثور على الآلات الرصد وأدواته التي كانت تستعمل والتي ربما كانت مصنوعة من الخشب^(١).

لقد كان علم التنجيم (Astrology) من النتائج الثانوية لعلم الفلك (Astronomy) الذي نشأ من الحاجة إلى ضبط الفصول والتقويم والزمن وقياسه. وقد ساعدتهم تقدمهم في الرياضيات على تطوير المعلومات الفلكية وجعلها علماً منظماً مضبوطاً، والمرجح أن الفلكيين البابليين كانوا أول من رأى أن الشمس مركز الكون والأجرام السماوية الأخرى، وأن للقمر تأثير في المد^(٢). ومما يقال عن الأرصاد البابلية الفلكية أنها أطول أرصاد في جميع الحضارات القديمة والتي بدأت منذ مطلع الألف الثالث ق.م واستمرت إلى آخر عهود حضارة بلاد الرافدين، فكانت الأرصاد^(٣) الفريدة الأساس التي قام عليها علم الفلك. ومن حساباتهم الفلكية المهمة التوفيق بين مجموع الأشهر القمرية والسنة الشمسية إذ تنقص السنة القمرية، ومعدل طولها ٣٥٤ يوماً عن السنة الشمسية زهاء ١/٤ ١١ يوماً، فكانوا يكسبون شهراً قمرياً ثالثاً عشر للتوفيق بين الأشهر القمرية والدورة الشمسية^(٤) وتوصلوا إلى معادلة أن ٣٢٥ شهراً قمرياً تساوي ١٩ سنة شمسية، فاضافوا ٧ أشهر كبيسة في دورة مقدارها ١٩ سنة، وقد صار هذا التقويم أنموذجاً أساساً لتقويم شعوب أخرى كالتقويم العبراني واليوناني والروماني قبل إدخال التقويم اليولياني (في عام ٤٥ ق.م)^(٥).

قسم الفلكيون البابليون دائرة السماء إلى ١٢ ساعة من ساعاتهم (والساعة البابلية، تساوي ساعة مضاعفة من ساعتنا)، وقسموا سمت الشمس أو دائرة البروج (Ecliptic) إلى اثني عشر

(١) الراوي، فاروق: نظام التوقيت في العراق القديم، بحث منشور ضمن أبحاث الندوة القطرية السادسة لتأريخ العلوم عند العرب، مركز أحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص ٣٧٢.

(٢) باقر: موجز في تاريخ العلوم، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٣) ومن المراكز الرئيسية لرصد الكواكب والتي ترد في النصوص المسمارية أربيل والوركاء وبابل وسبار

للمزيد من التفاصيل عن المراسد ينظر: Neugebauer. O, OP. Cit.P.14.

(٤) وكانت مهمة إضافة الشهر الثالث عشر محصورة في الملك أو الكاهن الأعلى بدليل أن هناك رسالة من الملك حمورابي إلى عامله على مدينة لارسا يقول فيها "الشهر القادم يجب أن يعتبر شهراً كبيساً أي عليكم اعتباره شهر أيلول - الثاني - أي إضافها. وبناءً على ذلك فقد تقرر أن تجلب جميع الضرائب السنوية إلى بابل يوم ٢٤ أيلول". للمزيد ينظر: الزرقي، محسن، أصالة العلوم البحتة والتطبيقية في بلاد الرافدين وتأثيرها على بلاد اليونان، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٩٧، ص ٥٠.

(٥) باقر، موجز في تاريخ العلوم، المصدر السابق، ص ٨٩ - ٩٠.

قسماً بواسطة مجموعة من النجوم الثابتة اطلقوا عليها اسماء حيوانية او ادمية او خرافية، وهي ما تعرف بالبروج الاثني عشر (Zodiac) حيث تمر الشمس في كل شهر من الاشهر الاثني عشر في مدارها السنوي باحدى تلك المجموعات، وهذا اصل البروج الاثني عشر المستعمل الى هذا اليوم وقسموا كل برج منها الى ٣٠ درجة تطابق عدد ايام الشهر المثالية، ويتفق الباحثون في هذا المجال على أن العراقيين القدماء لهم قصب السبق في معرفة قياس المسافات الواقعة بين النجوم الثابتة. كما استعان الفلكيون البابليون بمعلوماتهم الرياضية المتقدمة في حساباتهم الفلكية حتى انهم استعملوا المتواليات الحسابية الهندسية في تعيين الاوقات واطوال الليل والنهار بحسب فصول السنة المختلفة، وكذلك استعملوا المتواليات الحسابية المتصاعدة والمتناقصة في معرفة ازمان طلوع القمر وغروبه، وفي رصد بعض الكواكب مثل كوكب الزهرة^(١).

ومع ان كلمة الاسطرلاب^(٢) ترجع الى اصل يوناني الا ان الفكرة والمبدأ يرجعان الى فلكيي العراق القديم، فكان الاسطرلاب البابلي اول محاولة علمية في التأريخ لوضع المعلومات الفلكية عن النجوم التي تظهر في الفصول المختلفة من السنة في نظام وترتيب علمي، وكان الاسطرلاب البابلي على شكل جدول (سجل) بعدد من الكواكب التي تظهر في الاشهر الاثني عشر وقد خصصوا لكل ثلاثة نجوم تظهر فيه وعدد نجوم اشهر السنة ٣٦ نجماً.

وقد خلفوا لنا نماذج من هذه الاسطرلابات على الواح الطين وقوامها قرص دائري رتبت النجوم فيه على شكل ثلاث دوائر ذات مركز واحد وقسم القرص الى اثني عشر قطاعا خصص كل قطاع الى شهر من الاشهر، ووضع في كل قطاع النجوم الثلاثة التي تظهر فيه^(٣).

(١) باقر، موجز في تاريخ العلوم، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٢) الاسطرلاب (Astrolabe) آلة لقياس ارتفاع النجوم او رصدها. ويتالف من قرص معدني او خشبي مدرج المحيط ومعلق في وضع راسي بحلقة، وفي مركزه مؤشر متحرك يسمى العضادة (باقر، المصدر السابق، ص ٩٠) والزرقي، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٣) الزرقي، المصدر السابق، ص ٩٠.

كما استعمل البابليون الات خاصة لقياس الزمن، هي الساعات المائية^(١) (Clypsydra) التي عرفت في اللغة السومرية بصيغة **GIŠ. DIB. DIB**^(٢) وفي اللغة الأكديّة **dibdibu**^(٣) وكانت الغاية من هذه الالة قياس الساعات في الليل فضلا عن استخدامهم الساعات الشمسية(المزولة)نهاراً.

وعلينا ان نتذكر أن الاثنتي عشرة ساعة التي هي عدد ساعات اليوم عند العراقيين القدماء والتي تساوي ٣٦٠ دقيقة، وهذا يشير الى مقياس الكيل التي هي الوزنة، والوزنة تساوي ٦٠ مّنا، وهذا ما يعادل وزن انسياب الماء في الساعة المائية التي كانت تستخدم لقياس الزمن ابان اجتياز نجمتين خط منتصف النهار، بحيث تغدو الساعة (بيرو *bēru*) هي ايضاً مقياساً متجولاً^(٤).

وحين اتخذ العراقيون القدماء وبشكل نهائي، بداية تأريخ العام الجديد بالفتاح من شهر نيسان، أي: في الاعتدال الربيعي، والسنة المثالية المكونة من ٣٦٠ يوماً مقسمة الى ١٢ شهراً، وفي كل شهر ٣٠ يوماً، كانت هذه السنة قصيرة جداً، اذ كان ثمة نقص شهر كل ست سنوات، الامر الذي سيعكس فصلي الشتاء والصيف خلال ٣٦ سنة^(٥).

لذا اضافوا شهراً اخر كل ثلاث سنوات، وكانوا يضيفون هذا الشهر، اما في الشهر السادس، أي: عند موسم جني التمر، او في الشهر الثاني عشر، أي: عند موسم الحصاد.

(١) اورد الباحثون في هذه المسألة انها، أي: الساعة المائية كانت تعمل بقياس كمية الماء المزاح من خلال الثقب الذي يتوسطها ويقاس بالثيقل **GÍN** و**MANA**، وهناك من قارب بينها وبين الساعات المائية التي استخدمت على نطاق واسع باوريا في العصور الوسطى، فضلا عن الوصف الذي اعطاه لها الباحث سدني سميث ((بانها - أي الساعة - هي عبارة عن طاسة مثقوبة من الوسط كالتي عثر عليها في مدينة (كَلْخُ- نمرود -) للمزيد ينظر:

Smith. Sidney, "Babylonian Time Reckoning, Iraq, 31/(1969), PP. 74 - 81.
(٢) يلاحظ ان كتابة اسم الساعة قد سبق بمقطع **GIŠ** الدال على الاشياء التي كانت تصنع من مادة الخشب وهذا يعني بطبيعة الحال ان الساعة المائية البابلية كانت مصنوعة من الخشب، فهي لا يمكن ان تقاوم الظروف الطبيعية الصعبة كونها من المواد العضوية التي تتعرض للتلف، مما حرمتها من العثور على اثر مادي واضح المعالم يعرفنا بشكل الساعة التي استخدمت انذاك.

(3) CDA, P.59.

(٤) روثن، مارغريت: علوم البابليين، تعريب وايضاحات، يوسف حبي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص ٨٧.

(٥) روثن، المصدر السابق، ص ٨٥.

وغالبا ما كانت اسماء شهورهم مقترنة بحصاد القمح او يقرونون البعض منها باسمااء اعيادهم الدينية^(١).

ويعتقد معظم العلماء أن البابليين هم اول من اوجد النظرية الكوكبية او القمرية التي مكنتهم من تحديد زمن ظهور إلهال في اول كل شهر قمري. ويؤكد الباحث Neugebauer على أن حساب حركة القمر هو من بين احسن الانجازات في العصور القديمة ويمكن اقرانها باعمال علماء الفلك من اليونان والرومان. ومن الشائع ان العراقيين هم اول من استطاع تقسيم السنة الى فصول، وكانوا على علم بالاعتدال الربيعي ووقت حصوله في نيسان وفي ذلك نقراً ملاحظة موجهة الى الملك ومؤرخة من العصر الآشوري الحديث (٩١١ - ٦١٢ ق.م):

"في اليوم السادس من شهر نيسان

يتساوى النهار والليل

ست ساعات نهاراً وست ساعات ليلاً"^(٢).

قسم العراقيون القدماء السنة الى ١٢ شهراً واطافوا شهراً آخر كل ٣ سنوات، وعلى الرغم من معرفتهم بالاسبوع واقامتهم الاحتفالات في بداية كل شهر وفي اليوم السابع منه^(٣) وفي منتصفه وفي اليوم الاخير منه، الا انهم كانوا يعودون الى اليوم الاول من الاسبوع عند بداية كل شهر جديد^(٤).

وكان اليوم مقسماً الى ١٢ ساعة (بيرو *bērū*) وكانت كل ساعة بابلية تساوي ضعف الساعة من ساعات يومنا الحالي. وكان المنطلق من الاعتدال في تقسيم الليل والنهار المتساويين في تلك الفترة، الى عدد متساو من الساعات. وكانت الساعة مقسمة الى ٦٠ دقيقة لكل منها (أي تساوي الدقيقة ضعف الدقيقة الحالية)، والدقائق الى ثوان. ونحن اليوم على الرغم من

(١) الراوي، فاروق ناصر: الرياضيات والفلك، حضارة العراق، ج٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٢١.

(٢) روثن، المصدر السابق، ص٨٦.

(٣) عرف اليوم السابع او يوم السبت بالاكديّة سيبوثم *sebūtum* (CDA, P. 319).

(٤) الراوي، الرياضيات والفلك، المصدر السابق، ص٣٢٢.

تقسيمنا اليوم الى ٢٤ ساعة، احتفظنا في عفارب الساعة بالرقم ١٢ فبقينا والحالة هذه ورثة للبابليين^(١).

ومهما يكن طول النهار والليل أو قصرهما، فقد قسم العراقيون القدماء كل منهما الى ثلاثة مواقيت عرفت بالهجعات^(٢) والتي غالبا ما كانت تختلف في كل موسم من المواسم الاربعة^(٣) وللهجعات في بابل تسميات خاصة فتسمى هجعة ما بعد الغروب بالهجعة الاولى او هجعة جزء من الليل وعرفت في اللغة الأكدية بصيغة مَصَارْتُ *maššārtu* للدلالة على تَأَلُّؤُ النجوم التي تضيء وتسطع في ليل الشرق الصافي، والهجعة الثانية هي هجعة منتصف الليل، التي عُبر عنها بصيغة شات أُرُّ *šāt urri*. والثالثة هجعة الفجر التي عُبر عنها بصيغة نَمَارِيْتُ *namāritu*، وتشير الى اولى تباشير النهار التي تجعل من السماء شاحبة وتعلن عن انتهاء الليل، وهجعة النهار الاولى هي هجعة شروق الشمس، وتليها الساعات حيث الشمس الشديدة تنتشر اشعتها، فهي هجعة السماء المحرقة، والهجعة الاخيرة هي هجعة الغروب^(٤).

وكان العراقيون القدماء يميزون ساعات الليل عن ساعات النهار، فثمة نصوص متأخرة تعطينا معلومات مستقاة من اخبار تسجل لنا الساعة التي حدث فيها كسوف ما، وتدلل على ان العراقيين القدماء كانوا يقسمون الليل والنهار الى ١٢ ساعة (بيرو *bērû*) وكل ساعة الى ٣٠ دقيقة (*GÍŠ*) وكان كل بيرو *bērû* يساوي ١ من ١٢ من اليوم والكش *GÍŠ* يساوي ١ من ٣٠ من بيرو *bērû*^(٥). ومن البدهي ان تقسيم الزمن الى سنة مثالية مكونة من ٣٦٠ يوما و ١٢ شهرا، واطافة اشهر اضافية متداخلة، كان يلزم الفلكيين بتحديد مطلع كل شهر.

كما استخدم القمر كمرجع مهم لتحديد الزمن، اذ كان من السهولة بمكان مراقبته. وإننا نجد في قصة الخليفة اشارات تدل على ذلك، فان الإله مردُّك:

"... سلط القمر على الليل وجعله زينة في الليل، به يعرف الناس موعد الايام، وفي بدء الشهر يطل القمر، يحدد الاسبوع، وبعد اسبوعين، في نصف الشهر يواجه الشمس، يكون بدرًا، ينحسر ضوء الشمس عن وجهه يصفر، يدركه المحاق، يعود ثانية الى الارض. وكان على الإله - القمر

(١) روثن، المصدر السابق، ص ٨٦.

(٢) الهجعة في اللغة العربية هي بمعنى النوم ولكنها في مدلول العراقيين القدماء تعني فترة من الوقت نهارا وليلا أي انها ليست محددة فقط في المساء وهو وقت النوم.

(٣) الراوي، نظام التوقيت، المصدر السابق، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

(٤) روثن، المصدر السابق، ص ٨٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٦.

الذي يشار الى اسمه بالرقم ٣٠، ويعتقد أن اختياره بسبب مثالية الشهر القمري وان يدلل على المراحل المختلفة، وذلك بفضل تغيرات قرصه المرئية^(١). اما تسميات الاشهر المستخدمة فلا بد من الاشارة الى ان معظم تسميات الاشهر المتداولة الان في العراق وبعض الاقطار العربية المجاورة والتي تسمى خطأ بالاشهر الرومية او السريانية او العبرية، انما ترجع اصول تسمياتها الى تراث العراق القديم، وقد وصلت الينا عن طريق السريان او اليهود وعلى هذا الوجه توصلها المعاجم العربية. ولعله من المفيد ايراد اسماء الاشهر العراقية القديمة كما عم استعمالها في التقويم البابلي من بعد توحيدها وجعلها مطردة الاستعمال منذ العصر البابلي القديم (مطلع الالف الثاني ق.م) وهي ابتداء من السنة البابلية في شهر نيسان:-

١. نِسَانُ *nisānu* (الشهر الاول البابلي يقع ما بين آذار ونيسان).
٢. أَيَارُ *ayāru* (الشهر الثاني البابلي بين نيسان وآيار - مايس -).
٣. سِمَانُ *simānu* او سيوان (الشهر الثالث البابلي ما بين ايار وحزيران).
٤. تَمُوزُ او دُوؤُزُ *dūzu* (الشهر الرابع ما بين حزيران وتموز).
٥. آبُ *ābu* (الشهر الخامس البابلي ما بين تموز وأب).
٦. أُلُولُ *ulūlu* (الشهر السادس البابلي ما بين آب وايلول).
٧. تَاشَرِتُ *tāšritu* (الشهر السابع البابلي ما بين ايلول وتشرين الاول).
٨. ارْحُ سَمَن *arahsaman* (أي الشهر الثامن ما بين تشرين الاول وتشرين الثاني).
٩. كِسِلْمُ *kisilmu* (الشهر التاسع البابلي ما بين تشرين الثاني وكانون الاول).
١٠. طِبْتُ *tebetu* (الشهر العاشر ما بين كانون الاول وكانون الثاني).
١١. شَبَطُ *šabaṭtu* (الشهر الحادي عشر ما بين كانون الثاني وشباط).
١٢. اَدَّرُ *addaru* (الشهر الثاني عشر ما بين شباط وآذار). فضلا عن ذلك يوجد شهران كيبسان، ايلول الثاني وآذار الثاني (SE (.KIN.KU₅).DIR) ، (KIN.II.KAM)
:(.MA)

(١) روثن، المصدر السابق، ص ٨٧.

١٣. آرْحُ مَرْحُ شَ اَدَّرُ *arhu marhu šá addaru* ^(١) (وهو الشهر الثالث عشر الكبس الذي يضيفونه الى سنتهم بين كل سنتين او ثلاث لتتفق اشهرهم القمرية وسنتهم القمرية مع السنة الشمسية) ^(٢). ويسمى ايضاً اَدَّرُ ارك *addaru arku* أي اذار الثاني او الآتي ^(٣).

مصطلحات نظام التوقيت

للعراقيين القدماء الفضل في اعطاء تسميات للوقت، وضبط تقسيماته بدقة متناهية، ولنا ان نبدأ باصغر وحدة للوقت عرفها القوم وهي **الدقيقة** التي عرفت في اللغة السومرية بـ **GIS**، والتي تعني كذلك (درجة قياسية) من الفلك. وهي تشكل ١ من ٦٠ جزءاً من الساعة وهي مضاعفة عن الدقيقة في قياس الوقت الحالي.

تلي الدقيقة وحدة زمنية اخرى اكبر منها وهي **الساعة** التي تشكل ١ من ١٢ جزءاً من تقسيمات اليوم عند العراقيين، فقد عرفت **دناً** **DANNA** باللغة السومرية وهي ساعة مضاعفة

(١) نقلا عن : لابات، رينيه: قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: أبونا، الأب البير ووليد الجادر، وخالد سالم اسماعيل، مراجعة واشراف عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٤ (ملحق رقم ٤).

(٢) أما ما نعرفه عن معلوماتهم بخصوص السنة الشمسية فالظاهر انهم لم يهتموا كثيراً في العصور الاولى بالتوقيت الشمسي او بايجاد علاقة ما بين السنة القمرية والسنة الشمسية. ولكن قد يتبادر الى الذهن اضافتهم لشهر (ثالث عشر) الى التقويم، والحقيقة فان ذلك حدث لضبط مواعيد الزراعة ليس الا. اما = لاستخدامات الرسمية فالظاهر انهم اعتمدوا اثني عشر شهراً يتضمن كل منها ثلاثين يوماً، واتخذوه تقويماً أنموذجياً، وكقاعدة يركن اليها لتثبيت اوقات عقد الوثائق الاقتصادية وابعادها ومواعيد دفع الربا وما الى ذلك ... وباختصار استخدم هذا التقويم للامور الاقتصادية والتجارية، وكما يمكن عدّه توقيت او تقويم تجاري، (الراوي، نظام التوقيت، المصدر السابق، ص ٣٧٣).

(٣) باقر، طه: من تراثنا اللغوي القديم - ما يسمى في العربية بالدخيل -، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣١ - ٣٢. للمزيد من التفاصيل عن الاشهر في العراق القديم، يُنظر: اسماعيل، خالد سالم: الاشهر - اصولها وتسمياتها في حضارة وادي الرافدين واثرها على البلدان المجاورة، بحث منشور ضمن وقائع الندوة العلمية لدائرة الاثار والتراث، مهرجان بابل الدولي الحادي عشر للفترة من ٢٣ - ٢٥ تشرين الاول ١٩٩٩، بغداد، ص ٥٩ - ٦٢.

عن قياس وقت الساعة المتعارف عليه بتوقيتنا الحالي: أي ان كل واحد **بيرو** *1 bēru* يعادل ساعتين بحساباتنا الحالية^(١).

اما اليوم فقسّموه الى جزعين: مضيء وهو النهار ومعتم وهو الليل وهذان الجزاءان لا يتساويان الا عند الانقلابين الشمسيين الشتوي والصيفي، والاعتدال الربيعي^(٢)، والجزء الاول المضيء من اليوم وقصد به النهار الذي عُرف أوم *ūmu* والمفردة الاكديّة اقرب ما تكون الى مرادفتها في اللغة العربية يوم^(٣) وثمة مفردات تطلق على الجزء الاول من اليوم، وهي كثيرة مثل **الفجر** الذي عرف بصيغة شير *šēru* واللفظة الاكديّة يقابلها في اللغة العربية سَحَر. كما عُبر عن وقت شروق الشمس بصيغة صي شمش *šī šamši* أي: ضياء الشمس وبزوجها وصيْتُ *šītu*، أي: شروق و بي شتت *pī šatti* أي بزوغ الفجر ضياء الصباح وعُرف الصباح بصيغة اخرى فضلا عن الصيغة المرادفة للفجر، اذ عبر عنه بـ سِبرات *šippa (r) rātu*، فضلا عن ورود مفردات اخرى مثل نور *nawir*^(٤) بمعنى عند الصباح، قبل الظهر فيما عبر عن وقت الظهر او منتصف النهار بصيغة مُصلال *mušlālu*. اما فترة ما بعد الظهر فجاءت بصيغة كِنسك/كِنسكُ *kinsigu / kinsikku* و قدت أوم *qiddat ūmi* و أوم مَشل *ūm mašil*. كما عبر عن وقت القيلولة بصيغة مُصلال *mušlālu* والمفردة الاكديّة هي ذاتها المعبرة عن وقت الظهر ومنتصف النهار. فيما عبر عن وقت ما قبل الغروب، قبل نهاية النهار بصيغة مي ان شو شمش *ME ana ŠŪ šamāš*. كما جاءت الاشارة الى وقت غروب الشمس (الاصيل) بصيغة اريب شمش *ereb šamši* و اريب *erēbu* و شِلان *šillān*. اما وقت الغسق فجاء بصيغة ليلات *lilātu*. فيما عبر عن كل النهار بصيغة *kal ME, DŪ u₄ me* وكل اليوم بصيغة كل أوم *kal ūmi*^(٥).

(١) على الرغم من اننا نقسم اليوم بوقتنا الحاضر الى ٢٤ ساعة، الا اننا نلاحظ تاثرنا وتقيدها بالتراث العراقي القديم، اذ نجد عقارب الساعة تبدأ وتنتهي بالرقم ١٢ وهذا نابغ من التقسيم البابلي لليوم الكامل بعدد متساوٍ من الساعات خصص نصفها الاول للنهار ونصفها الثاني للمساء.

(٢) الراوي، نظام التوقيت، المصدر السابق، ص ٣٧٠.

(٣) اسماعيل، خالد سالم: تعليقات حول مصطلحات التوقيت في المصادر المسمارية، مجلة اداب الرافدين، ع ٣١، جامعة الموصل، ١٩٩٨، ص ٣٠٧.

(4) *CDA*, P. 368, P. 339, P. 363, P. 339, P. 247.

(5) *CDA*, P. 220, P. 159, P. 422-3, P. 354, P. 372, P. 77, P. 182, P. 423.

اما الجزء الثاني من اليوم فكان الليل الذي عرف بـ *šalāmu* او صلّم *šalmu*، وتعني: الظلام والعمّة، وهي تطابق المعنى واللفظ نفسيهما في اللغة العربية. كما عبر عنه بصيغة مساء، إذ ورد في النصوص بـ *tamhū* وموش *mūšu* و ليّلم *līlum* و ليلاّم *līlātum* أي ليّل أو ليلة على التوالي^(١).

ومن المصطلحات التي تتسحب على الجزء الثاني من اليوم الليل وقد جاء بصيغة **SAG. GE₆** أي: بداية الليل و **DÚ mušu** **GE₆** **kal** أي: كل الليل و **ZAL GE₆** أي: اقصى الليل او إلهزيع الاخير من الليل^(٢).

اما الشهر فقد عرف بصيغة **ÁB** **ITI** في اللغة السومرية و *arhu / warhu* في اللغة الأكديّة كما عرف الشهر المبتدئ، بدء الشهر بـ *arhu* ايرب *arhu ēribu*، فيما عرف الشهر المنتهي، نهاية الشهر بـ *arhu āsū*^(٣).

كما عرف الفصل من فصول السنة الاربعة أو وقت من السنة بصيغة *ana ištu* واطلقت تسميات على كل فصل من فصول السنة الاربع، فالشتاء عرف بصيغة *kūṣu / kuṣṣu*.

اما الربيع فعرف بـ *dišu / dišu*. فيما عرف الصيف بـ *ebūu* وكذلك بـ *qēṣu* أي: قيض واخيرا عرف الخريف بصيغة *harpū*^(٤).

وإذا ما انتقلنا الى اكبر وحدة للوقت الا وهي السنة نجدها عرفت بصيغة *šattu / šanatu* وإن العراقيين القدماء قد قسموها الى قسمين او جزئين عرف كل منهما بتسمية معينة مثل: *reš šatti* و *ban šatti* والمصطلحين يعنيان رأس السنة او بدء السنة او مطلع السنة = الربيع.

فيما عرفت نهاية السنة بصيغة *mūši šatti*^(٥). هذا فضلا عن العديد من المصطلحات ذات العلاقة بالتوقيت مثل: *timālu* ، أي: أمس، البارحة و *esšetu*، أي: الآن، الساعة، الوقت، الحاضر و *ana arki U₄ me* ، أي: الايام

(1)CDA P. 332, P. 224, P. 396, P. 182.

(2)CDA, P. 224.

(3)CDA, P. 434.

(4) CDA, P. 135, P. 170, P. 61, P. 65, P. 288, P. 108.

(5)CDA, P. 220.

المقبلة، وفي المستقبل و دارُ *dāru* أي: امد، دهر، ابدية و انْ او مشَمَّ *ina U₄ meššuma* ، أي: الماضي البعيد، في تلك الايام، في ذلك الوقت^(١).

اما اوقات الرصد فقد وصلنا عنها عدد من المصطلحات مثل: شَت ارِ *šat urri* أي: المراقبة وقت الفجر *ina ZALAG* بمعنى المراقبة عند شروق الشمس و بَرِيْتُ *baraitu* أي: المراقبة في الليل و قَبَلِيْتُ *qablītu* بمعنى المراقبة عند منتصف النهار^(٢).

رابعاً: قياس المسافات وأدب الرحلات

أ. قياس المسافات

اعتمد الانسان الاول في قياس المسافة على حركته الخاصة المقاسة بطول اقدمه وذراعه وخطواته. ولذلك كانت المسافات تختلف حسب اختلاف طول الخطوات وطول الاقدام كما انهم استخدموا الزمن في قياس المسافات فعرفوا سرعة الانسان والحيوان. ومقدار ما يقطع كل منهما في اليوم حتى اصبحت هذه الوسيلة شائعة في معظم الحضارات القديمة^(٣). ان تزايد حاجة الانسان بعد نشوء الحضارة في بلاد الرافدين الى تدوين المعاملات والشؤون التجارية المتعلقة بالمعابد والمباني العامة. دعا الى توحيد الموازين والمكاييل والقياس، وابتداع طريقة للعد وقواعد حساب المعاملات، وكانت بداية ذلك في عصور ما قبل التاريخ، ويُظن ان الانسان اسس طريقة عده على عدد اصابع يديه ولذلك اتخذ الانسان في الغالب طريقة العد العشرية الا ان السومريين استخدموا، الى جانب الطريقة العشرية، الستينية وتقوم الطريقة على اساس ان العدد ٦٠ تفوق قابليته للقسمة بقية الاعداد، فهو يقبل القسمة على ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ١٠، ١٢، ١٥، ٢٠، ٣٠^(٤).

كما استخدم سكان بلاد الرافدين القديمة وحدة المقاييس الطولية^(٥) منذ عصر فجر السلالات والتي عرفت بـ **كار GAR** الذي يساوي ٢٠ قدماً او ٦ امتار، كما عرفوا بـ **بيرو bēru** في اللغة الأكديّة و **DANNA** في اللغة السومرية، أي: ساعة مضاعفة وهي وحدة قياس

(1) CDA, P. 406, P. 421, P. 83, P. 422-3, P. 57, P. 422-3.

(٢) الراوي، المناخ، المصدر السابق، ص ٢.

(٣) فضيل، وزميله، المصدر السابق، ص ٦٧.

(٤) فضيل، المصدر السابق، ص ٦٧.

(٥) للمزيد، ينظر جدول وحدات قياس الطول وما يقابلها من وحدات في وقتنا الحاضر في الاشكال والملاحق (ملحق رقم ١)، ص ٢٩٤.

الزمن والمقصود بها الساعة البابلية التي كانت تساوي ضعف زمن الساعة الحالية. وتقدر المسافة التي يستطيع الانسان قطعها في المسافة البابلية بما يقرب من فرسخين (= ١٠.٨ كم)^(١)، فضلا عن وحدات اخرى ترد في ادبيات الرحلة في بلاد الرافدين مثل **العصا نندا** NINDA في اللغة السومرية و ننداُ *nindānnu* في اللغة الأكديّة وكذلك **المرحلة** او **مسافة بريد وهي ما عرفت في اللغة السومرية بـ أش** ŪŠ وغيرها. اذ أتتنا نصوص عديدة وإشارات الى قياس المسافات ذات علاقة بارتباط بلاد الرافدين القديمة بالاقاليم الخارجية عن طريق الحروب والتجارة^(٢) من خلال عدة طرق تاريخية، اذ كثيرا ما تناولت النصوص تلك الطرق. ولعل اشهر الطرق قد انحصرت بثلاث مجموعات بالنسبة لاتجاهاتها والبلدان التي تؤدي اليها وهي:

١. الطرق المؤدية الى الاقاليم الغربية.

٢. الطرق المؤدية الى الاقاليم الشرقية.

٣. الطريق البحري^(٣).

والرحلات التي تبدو في منظور خاص اكثر النصوص الجغرافية الفاتاة للعناية والمتعة من كل النصوص الاخرى، وبقينا فانها اكثر انباءً بالمعلومات وبما تتيحه من الاستدلال الضمني على الاقل، اذ تسجل المحطات المتعاقبة عبر مسار الرحلة او المسيرة او الزحف. وقد تكون هذه المحطات مدنا كبيرة او قرى صغيرة او مجرد دور استراحة او مرابط، وتكون الرحلة اما وصفية او تقريرية، والمحطات او المرابط قد تكون مدرجة كلها باسهاب او لا تكون كذلك، وقد تكون مساوية احدهما للاخرى في المسافة او في الزمن الذي يستغرقه المسافرون بين

(١) لم يتفق الباحثون حتى الان عما يقابل البيرو من وحدات الطول في الوقت الحاضر فمنهم من يحددها بـ ٧,٣ كم واخر يحددها بـ ١٠.٦ كم وثالث يراها ١٠.٨ كم وهو المرجح للمزيد من التفصيل يُنظر: *RLA*, 7, P. 467.

(٢) وهو ما تطلب قيام الملوك والحكام العراقيين القدماء ومنذ اقدم العصور بانشاء الطرق والمسالك الداخلية والخارجية ووضع قوائم جغرافية لتحديد مسالكها والمراحل بين المدن التي تمر منها او تقع عليها، ولدينا الكثير من النصوص المسمارية التي توضح تلك المسالك والطرق التي استخدمها السكان انذاك في مواصلتهم الداخلية والخارجية، وكانت بعض تلك الطرق مائياً فيما كان البعض الاخر برياً (يونس، ريا عبد الرزاق: فجر الحضارة السومرية في ضوء اختتام عصري الوركاء وجمدة نصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص ١١.

(٣) باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ص ٣١.

الواحدة والآخرى^(١)، وعلى الرغم من كل هذه فان نصوص وادب الرحلات هي اقرب القرائن الى الخرائط الحديثة وافضل مصور لدينا لرسم خريطة لاسماء جغرافية عديدة والتي تكشفها مصادر اخرى. وان الفكرة القائلة بان "اطلس ابلا الجغرافي"^(٢). يمثل نوعا من الرحلة لم يؤيدها الكثير من الباحثين.

كان التجار والرسل (الموفودون) والجيوش والملوك يلجؤون الى السفر^(٣) وكان الملوك يلجؤون اليه لغرض المتعة، ويمكن ان تكون الرحلة للمسافر على رسله (بتأناً) او على شكل حملة عسكرية^(٤).

ولعل ابلغ دليل على عناية القوم بالسفر وطرق المواصلات الخارجية انهم وضعوا ادلة او اثباتا جغرافية بالطرق والمسالك المشهورة وتحديد المراحل والمسافات والمدن التي تمر منها او تقع عليها، ما يصح تسميته بدليل الطرق والمسالك **Itinerary**، وقد جاءت نماذج طريفة لعل أشهرها واقدمها ما يرجع الى العصر البابلي القديم عرفت برحلة الطريق الى إيمار^(٥).

وفي الالفين الاول والثاني ق.م لم تكن مسيرة ٢٥ - ٣٠ كم مسألة غير مألوفة، وفي الالف الاول ق.م كانت جيوش الدولة الآشورية تسير قرابة ٢٠ - ٤٠ كم في اليوم وفي النسخة الآشورية الحديثة لمحملة كلكامش تبلغ المسافة العادية المقطوعة في مدى ٤٥ يوما هي ١٥٠ بيرو (ساعة مضاعفة)= ١٦٢٠ كم تقريبا، أي: (٣ بيرو في اليوم الواحد وهو ما يعادل ٣٠ كم في اليوم) وقد تمكن كلكامش وانكيدو من قطع ٥٠ بيرو او اكثر من ٥٠٠ كم اذا ما ترتب علينا ان نصدق الملحمة^(٦).

(1) Hallo, "Origins", Op. Cit, P. 20, 90.

(٢) وهي مستنسخة طبق الاصل عن قائمة ابي الصلابيخ الجغرافية عشر عليها في مدينة ابلا بالقرب من حلب في سوريا وقد ضمت ذات المواقع الجغرافية الواردة في قائمة ابو الصلابيخ الا ان النص الابلائي يتميز بانه نص مدرسي ومتكامل وكونه يشكل اطلسا ممتازا لمنطقة الشرق الادنى القديم وما يميزه اكثر انه مدونا بكتابة مسمارية مقطعية سهلة القراءة اذا ما قورنت مع الصيغة السومرية التصويرية من فترة فجر السلالات التي وجدت عليها قائمة ابو الصلابيخ الجغرافية (تتظر القائمة في فصل القوائم الجغرافية) Pomponio, F., "Notes on the Lexical Texts from Abu Salabikh and Ebla", **JNES**, 42, 1983, pp.92.

(٣) رفدت وثائق السفر في بلاد الرافدين القديمة دارسي المعارف الجغرافية حديثاً بوثائق ونصوص مهمة وكبيرة، لكونها من المعارف المنظمة منذ عصور قديمة من تأريخ بلاد الرافدين.

(4) Hallo, "Origins" Op. Cit, P. 78.

(٥) باقر، المقدمة، ج ١، ص ٣١.

(1) Hallo, "Origins" Op. Cit, P. 79.

وهذه السرعة في الاسطورة ليست فريدة من نوعها، اذ يخبرنا شولكي^(١) في انشودة ملك الطريق متفاخرا بانه قد ركض من عاصمته اور^(٢) الى العاصمة الدينية نيبّر (نُفّر) وعاد منها الى اور في يوم واحد ليحتفل بمهرجان القمر في المدينتين في اليوم نفسه، والمسافة هنا هي ١٥ بيرو=٣٠ ساعة او حوالي ١٦٠ كم ذهابا و ١٦٠ كم ايابا أي ٣٢٠ كم للرحلة كلها^(٣).

ان انجاز شولكي سواءً أكان صدقا ام غير ذلك ينتسب الى عصره ويترك اثرا يتردد في عصور لاحقة قبل عصر سلالة ايسن الاولى التي اعقبت سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) في السيادة على سومر، اذ يقدم لنا اشمي داكان رابع ملوك سلالة ايسن (١٩٥٣-١٩٣٥ ق.م) نصا على تمثال يصور الملك راكضا تجاه نيبّر (نُفّر)، ويبدو أن اشمي داكان قد قلّص مزاعمه اذ يقول انه جرى دربا واحدا وليس دربين، بمعدل ١٥ بيرو=٣٠ ساعة (ساعة مضاعفة) في اليوم تضمنتها رحلته، وهو الزمن ذاته الذي زعمه كلكامش وانكيديو في رحلة عودتهما الى مدينة اوروك (الوركاء)^(٤)، كما تتضمن رحلة شولكي اعطاء اسماء محطات (É. DANNA) أي. دنا في اللغة السومرية و بيت بير *bīt bēri* في اللغة الأكديّة أي محطة استراحة، وهذه المحطات تقع على مسافة بيرو (ساعة مضاعفة) لكل محطة او استراحة، وقد بنى في كل منها بيت استراحة او بيت كبير (قصر) أي. *É. GAL* يحتوي على اماكن استراحة، والمسافر يجد في هذه المحطات الراحة والطعام والشراب، وأشار ملوك اخرون الى مثل هذه الرحلات الفردية كأور - نموّ والد شولكي الذي كان اكثر تواضعا من ابنه في وصفه لرحلته الى نيبّر في السنة الرابعة من حكمه^(٥).

كما اتت النصوص التي عالجت امتداد نفوذ العراقيين القدماء على البلدان الخارجية على ذكر المسافات ومساحة بعض المناطق وحدودها، ويبقى النص المتضمن ثبنا بغزوات

(١) شولكي: ثاني ملوك سلالة اور الثالثة حكم ٤٨ سنة بين سنة ٢٠٩٥ - ٢٠٤٨ ق.م وهو ابن اورنمو مؤسس السلالة، اشتهر كوالده بتشبيد المعابد وتعمير المدن وفتح القنوات.
(٢) أور: مدينة سومرية كبيرة كانت تقع على نهر الفرات، قُدّس فيها اله القمر نثار (سين) تعرف بقاياها الحالية ب (تل المقير)، (بوستغيت، نيكولاس: حضارة العراق وأثاره، ترجمة سمير عبد الرحمن الجليبي، بغداد، ١٩٩١، ص١٤٢)

(3) Hallo, Origins, Op. Cit, P. 79.

(4) CDA, P. 80.

الوركاء: من اكبر المدن السومرية في القسم الجنوبي من العراق، وكانت مركزا لعبادة الاله أنو اله السماء والاله إينانا (عشتار تقع على بعد ١٥ كم تقريبا الى الشرق من ناحية الخضر الحالية في محافظة المثنى -الساوّة-)، (رشيد، الشرائع، المصدر السابق، ص٢٢٥)

(5)CDA, P. 81.

الملك شروكين (سرجون) الاكدي خير مثال على ذلك، إذ نطالع في هذا النص بعد تدوين اسماء البلدان والمدن التي فتحها وحركته من مدينة الى اخرى ما نصه: "عندما غزا شروكين (سرجون) ملك الكون عموم البلاد التي تحت السماء، رسم حدودها وقاس مساحتها^(١): "مسيرة ١٢٠ بيرو (ساعة مضاعفة) = ١٢٩٦ كم بين ذيل الفرات (نهايته عند راس الخليج)^(٢) وبلاد ميلوخا ومكان (عُمان)، الحدود التي حددها بالقياسات التي ثبتها"، وبعد ذلك يدون الكتابة ثبناً بأبعاد حدود كل بلد: "٤٠ بيرو (ساعة مضاعفة) = ٤٣٢ كم وهي مساحة مرخش *marhaši* ٦٠ بيرو = ٦٤٨ كم وهي مساحة تکرش *tukriš* (لورستان حالياً جنوب غرب ايران) ٩٠ بيرو = ٩٧٢ كم مساحة بلاد عيلام، ١٨٠ بيرو = ١٩٤٤ كم مساحة بلاد اكد" ١٢٠ بيرو = ١٢٩٦ كم مساحة سوبارتو (بلاد آشور)، ١٢٠ بيرو = ١٢٩٦ كم هي مساحة امورو (بلاد الشام) من لبنان الى تُرقي (تل العشارة على الفرات)، ٩٠ بيرو = ٩٧٢ كم هي مساحة لولوبي (المنطقة الجبلية في

(١) وهو يماثل دور الإله مردك في تحديد ابعاد السموات ومياه المحيطات (الاعماق) - *apsu* - ينظر: (Ee. IV, 141 - 144).

(٢) اذا كان ذيل الفرات هو مدخل النهر في جنوب بلاد بابل سيوضع هذان البلدان باكثر من ١.٣٠٠ كم، اما اذا كان ذيل الفرات واقعا في اقصى جنوب بلاد بابل قرب مقدمة (راس) الخليج، ولأن مساحة اكد وكما سنرى لاحقا تبلغ ١٨٠ بيرو أي ما مقداره ١٩٤٤ كم تقريبا، عندها تسمح هذه المسافة بتطويق بيضوي او مستطيل لعرض بلاد الرافدين بخطوط حدودية مرسومة بين آشور وسامراء في الشمال حتى ساحل الخليج، اذا كانت اكد تشمل كلا من سومر واكد، إذ ان سومر ليس مدرجة في الاسطر ٣٣ الى ٤٢ من النص، وعليه فان مساحة اكد البالغة ١٨٠ بيرو = ١٩٤٤ كم تكون معقولة بناء على ذلك. ولايد ايضاً أن تكون مكان وميلوخا واقعتين بمسافة ١٢٠ بيرو = ١٢٩٦ كم اسفل الخليج العربي، وهو ما يتلاءم مع موقع مكان (عُمان) ودلمون (البحرين) في بلدان ما وراء البحر الادنى استنادا الى رواية النص، الا انه يتعارض مع موقع ميلوخا في الجزء الاول من جغرافية سرجون، إذ تكون ميلوخا واقعة في الغرب قرب مصر وكذلك في نصوص تل العمارنة والحواليات الآشورية كما نقرأ في احدي حواليات آشور - اخي - ايدينا - (اسرحدون) التي خلدت حملته على مصر والتي يذكر فيها انه عسكر في ميلوخا بعد مغادرة مصر بفترة وجيزة: "من مصر قوّضت الخيام وواصلت تقدمي الى ميلوخا" ينظر: (Berger Esarh. 112: 115) للمزيد يُنظر: (Horowitz, Op. Cit, P. 86) وهو ما يتفق مع ما ذهب اليه الباحث كريمر من ان ميلوخا تقع على ساحل الصومال والحبشة ينظر: Kramer. S. N, "Sumerians" Chigago, 1963, PP. 261 - 277 في حين ترجح الادلة المتوافرة تحديد موضع ميلوخا بمناطق = = شبه القارة الهندية، وقد يكون على ساحل مكران الايراني او ربما يمتد الى الداخل في الاراضي الهندية لتشمل مراكز الحضارة السنديّة القديمة (موهانجيدارو) في وادي السند و(خرابا) ينظر:

Leemans, S.W.F, "Foreign Trade in the Old Banylonia Period, Leiden, 1960, PP. 161 - 162.

شمال شرقي العراق)، ٩٠ بيرو = ٩٧٢ كم وهي مساحة انشان - تل امليان احد اقاليم بلاد عيلام -
". وبعد ذلك يخبرنا النص بالحدود العامة وتخصيص بعض البلاد المجاورة لها ومن ذلك ذكره
للبحر العلوي *A. AB. BA. elūti* (البحر المتوسط) وبعض البلدان عبر ذلك البحر، والبحر
السفلي *A. AB. BA. šaplūti* (الخليج العربي) مقترنا بدلمون (البحرين) ومكان (عُمان)
ويمضي فيخبرنا بالاقاليم من الشرق الى الغرب^(١).

كما يخبرنا الملك نبوكدُرِّي اصّر (نيوخذ نصر) الاول (١١٢٤ - ١١٠٣ ق.م) من
خلال حملته الشهيرة على بلاد عيلام التي هدفت لأخذ الثأر لأكد ان المعركة بدأت من مدينة
دير der (تل العقر في بدة شرق العراق حالياً) في اشد اشهر الصيف حرارة وهو شهر تموز
وقد عانى الجيش البابلي من الحر ونقص المياه كما يذكر النص انه: "مشى من مدينة الدير
مدينة الإله انو مسيرة ٣٠ بيرو (ساعة مضاعفة = ٣٢٤ كم) من شهر تموز حيث بدأت الحملة
[...] الفأس احترقت كالنار والطرق احترقت كاللهب ولم يكن هناك ماء في الابار وتجهيز
الشرب انقطع"^(٢).

اما الملك الآشوري آشور - اخي - ايدينا (اسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م) فيذكر في احدى
حولياته وهو يصف زحفه لبعض المدن الواقعة حالياً في جنوب فلسطين ومنها أبق *apeq* (فيق
حالياً جنوب غربي سوريا شرق بحيرة طبرية) الى ربيخ *rapīthu* (رفح حالياً في فلسطين) ان
المسافة بين المدينتين هي (مسيرة ٣٠ بيرو = ٢٢٠ كم اذ كان بيرو = ٧.٣ كم).

كما توضح رواية مماثلة تشير الى زحف الملك آشور بان ابل (آشور بانيبال ٦٦٨-
٦٢٧ ق.م) من مدينة دمشق الى مدينة خلخيت *hulhulūtu* (خلخلة شمال محافظة السويداء
في سوريا حالياً) ، اذ يذكر النص ان المسافة بين المدينتين كانت (مسيرة ٦ بيرو، فاذا ما صدق
ادعاء كاتب الحولية فانها تكون مطابقة مع موقع تل اثري يبعد ما يقرب من ٥٠ كم الى
الجنوب من موقع المدينة الاخيرة، إلا ان هذا يصدّق في حالة جعل بيرو = ٨.٣ كم وليس ٧.٣
كم^(٣).

(١) الراوي، فاروق ناصر: العلوم والمعارف - الجغرافية -، حضارة العراق، ج ١، بغداد، ١٩٨٥، ص
٢٨١ - ٢٨٢. ينظر كذلك:

Horowitz, Wayne "The Sargon Geography", Op. Cit, PP. 67 - 95.

(٢) العبيدي، المصدر السابق، ص ٦٦.

(3) RLA. 7, 1987, P. 467.

وتقدم لنا كتابة اخرى للملك آشور اخي أيدينا (اسرحدون) تتحدث عن إلهجوم الاخير الناجح على مصر عام ٦٧١ ق.م، فكرة عن المشاكل، فالملك يتحدث عن التقدم الى رفح بجانب وادي مصر (العريش حالياً) ، حيث لم يكن هناك نهر، لذا كان عليه ان يستقي الماء لقطعانه من البئر بوساطة الحبال والسلاسل، وكانت وسائل نقله هي الجمال التي وفرها له حلفاؤه العرب، وقد وجد الرحلة فعلا مزعجة مسيرة ١٥ يوماً خلال الكثبان الرملية ويومين خلال اقليم فيه هكذا يقول ثعابين برأسين قاتلة وهناك مسافات اخرى لقطعها، وتستغرق كلها شهراً ونصف، اذا كانت الارقام ترجمت بشكل صحيح^(١).

ولم يكتف كتبة الرحلات بتزويدنا بمقدار المسافات المقطوعة في الطرق البرية فحسب، بل كان لمقدار المسافات عبر الطرق النهرية والبحرية نصيب في كتاباتهم كذلك، فعلى الرغم من ان الاشارات قليلة جدا عنها، ومع ذلك فقد ذكر في نص ان رحلة السفن من مدينة لكش الى مدينة نقر، وهي مسافة تُقدر بنحو ٨٥ ميلا (أي ما يعادل ١٣٥ كم) كانت تستغرق من ستة عشر الى تسعة عشر يوماً عند اتجاه السفينة شمالا عكس اتجاه تيار المياه في حين كان يستغرق قطع هذه المسافة باتجاه الجنوب مع تيار الماء ما يعادل اربعة الى خمسة ايام^(٢).

كما يحدثنا الملك الآشوري شروكين (سرجون) الثاني في احدى حولياته في معرض تعداد القابه ومنجزاته الحربية والسياسية: "..... الملك الذي اخضع سبعة ملوك من ملوك ايبا" وهي اقليم من اقاليم اياتانا (قبرص) والتي تبعد مسافة رحلة سبعة ايام في عرض البحر (البحر المتوسط) "وعندما سمع اوبيري ملك ديلمون (البحرين) الذي يقطن حرفيا يقع معسكره كالمسك (كناية عن الجزيرة)، على بعد ٣٠ بيرو (= ٣٢٤ كم) في عرض البحر (الخليج العربي) باتجاه مشرق الشمس، بقدرتي العظيمة اتى بهداياه لي"^(٣).

كما ظهرت المسافات على بعض الخرائط التي خلفها لنا العراقيون القدماء، اذ وضع محرر خريطة العالم البابلية المسافات على الجزر التي رمز لها بالمثلثات، والتي وضعها خارج المحيط السماوي (اطراف المحيط) وسجل المسافات على هذه المثلثات، وفيما بينها بالساعة البابلية المضاعفة (بيرو) ولاسيما في المثلث (الجزيرة) الرابعة والخامسة والسادسة واشير الى

(١) ساكز، هاري: قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ١٩٩٩، ص ١٥٧.
(2) Leemans. W.F, "The Old Babylonian Merchant, Leiden, 1950, PP. 1 – 2.
(3) ARAB, Vol. II, P. 99.

المسافة بين كل جزيرة واخرى انها ٦ بيرو^(١) (= ٦٤ كم) ولا يعلم على أي شيء استند الكاتب في تحديد هذه المسافة بين هذه الجزر^(٢). (تنظر خريطة العالم البابلية في فصل الخرائط).

ب. الرحلات

بعدها ظهرت انظمة الحكم الاولى في بلاد الرافدين القديمة وقامت الممالك برزت اسباب كثيرة لتوسيع الحملات البرية والبحرية.

وفي مقدمة الامور التي استجدت، اتساع رقعة الدولة وظهور هيبة الاكديين فالبابليين فالآشوريين وبروز ضرورة ربط نواحيها واقاليمها ومقاطعاتها اقتصاديا واداريا واجتماعيا مما استدعى استحصال الاتاوة، ونقل البريد. ولغرض متابعة دور الرحلات في العراق القديم واهميتها الجغرافية لابد من تحديد المراحل التي مرت بها تلك الرحلات والتي يراد بها ان تكون ذات طابع فني في الاسلوب ومتأثرة بالظواهر الطبيعية والبشرية ويتوقف ذلك على اصحاب الرحلة انفسهم ومدى اطلاعهم على البلدان التي يرومون وصفها، وبناءً على ما تقدم يمكن تقسيم الرحلات الجغرافية في العراق القديم الى المراحل الاتية:

- المرحلة الاولى:

تشمل من الناحية الزمنية الالف الثالث ق.م وقد امتازت الرحلة في هذه المرحلة ببروز هدف واحد من الرحلة وهو البحث عن ارض الحياة والخلود والدعة والراحة، ومن خصائص هذه المرحلة، بروز الرحلات الاسطورية او أن وصف تلك الرحلات يغلب عليها الطابع الاسطوري، نتيجة لطغيان الادب اللغوي على الفكر الجغرافي.

وفي هذه المرحلة برزت بعض الرحلات التي شملت الافق الجغرافي البري والبحري. واشهر الرحلات التي برزت في هذه المرحلة طائفة من الرحلات ذات الطابع الاسطوري وتأتي في مقدمتها ذرة الادب العراقي القديم ملحمة كلكامش التي طبقت شهرتها الافاق، والذي يهمنها منها هي رحلته الى ارض الحياة، وتدور احداثها بالدرجة الاولى على مغامرة لكلكامش في جبال

(١) قارن هذا الرقم (٦ بيرو) والمسافة بين جزيرة كونية واخرى يفترض ان يكون البعد بين جزيرة واخرى في خريطة العالم البابلية اضعاف هذا الرقم مقارنة مع المسافة التي ذكرت انفا عن مقدار المسافة التي ذكرها شروكين الآشوري من شاطئ الخليج العربي حتى جزيرة ديلمون (البحرين حالياً) وهي مسافة (٣٠ بيرو).

(٢) سوسة، احمد: العراق في الخوارط القديمة، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩، ص ٥.

الارز (في لبنان) ولقائه مع حارس الغابة، العفريت خمبابا (خواوا). فان كلكامش وقد ادرك ان مصيره الى الموت مثل البشر الاخرين، عزم على اتيان بعض الاعمال التي تخلد اسمه قبل ان يحل به الاجل المحتوم، فقرر ان يذهب الى ارض الحياة ويقوم ايضاً بقطع اشجار الارز. وبعد ان ابلى عزمه هذا الى صديقه وصاحبه انكيديو نصحه هذا ان يستشير الإله اوتو (شمش) ويلتمس منه العون لان غابات الارز تحت سلطانه وحمايته. فابدى اوتو العطف على كلكامش وقدم له العون في سفره المحفوف بالاطار عبر الجبال^(١).

وجمع كلكامش في حملته خمسين متطوعاً من اهل الوركاء ممن لا تربطهم رابطة عائلية، بعد ان هيا اسلحة مختلفة، وقد حاول شيوخ مدينة الوركاء أن يثبوا كلكامش عن ركوب تلك المخاطر، فقالوا له من بين ما قالوا: "ياكلكامش انت فتى وقد حملك قلبك مدى بعيداً، وانت لا تعلم عاقبة ما انت مقدم عليه. اننا سمعنا عن خمبابا ان بنيته مخيفة، ولا شيء يصمد امامه، والغابة تمتد مسافة عشر ساعات مضاعفة في كل الجهات" ولكن كلكامش لم يسمع نصح شيوخ مدينته، وعندئذ دعوا له بسلامة العودة وزودوه بالنصائح. وقبيل ان يشرع في السفر زار مع انكيديو معبد الإلهة ننسون، أم كلكامش ليسأل منها البركة والنجاح، فصلى لها وخاطبها: "ياننسون، إئذني لي ان اخبرك بانني اعترمت سفراً بعيداً، الى موطن خمبابا. وانني مقدم على نزال لا اعرف عاقبته، والسير في طرق لا اعرف مسالكها. فحتى اليوم الذي اذهب فيه واعدود والى ان ابلى غابة الارز واذبح خمبابا المارد وامحو من على وجه الارض كل شر تمقته الشمس، تشفعي لي عند شمش" فاستجابت له ننسون. وعبر هو وجماعته سبع سلاسل من الجبال. ولا يعلم سير الحملة من بعد اجتياز تلك الجبال لانخرام النص^(٢). وبعد ان يصبح النص واضحاً نجد ان كلكامش قد غط في سبات عميق اعاقه عن مواصلة سفره، ولكنه حالما استيقظ اقسم بأمه الإلهة ننسون وابيه لوكال بندا انه سيدخل ارض الحياة ولكن صديقه انكيديو استعطفه ان يعدل عن عزمه تجنباً للمهالك والاطار، فان حارس غابات الارز خمبابا لا يقبل لاحد ان يصد هجومه. وبعد ان شجع كلكامش صديقه وصل الاثنان الى غابة الارز واقتطعا سبع اشجار منها، واقترب كلكامش من مريض خمبابا ولكن هذا المارد، جبئ ازاء كلكامش وتضرع اليه والى الإله اوتو ان يبقي عليه، وكاد كلكامش ان يعفوعه، ولكن انكيديو حرضه على قتله، فقتله وقطع رأسه، وقررا ان يأخذا جثته هدية الى الإله انليل وزوجته الإلهة ننليل، ويبدو ان ما يعقب هذا الموضع من القصة ناقص غير واضح^(٣). فضلا عن هذا النص، هناك نص اخر، هو رحلة الإله انكي

(١) باقر، طه: مقدمة في ادب العراق القديم، المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٣) باقر، مقدمة في ادب، المصدر السابق، ص ١٢٩.

وتنظيم الكون وهي قطعة ادبية باللغة السومرية تصف تنظيم الإله انكي للكون وقد اطلق عليها الباحثون المختصون عنوان **انكي وتنظيم الكون** وخالصة الاسطورة ان الإله انكي قام برحلة في اقاليم الارض المعروفة آنذاك ابتداء من بلاد سومر ليُسبغَ عليها بركاته وينشر عناصر العمران والحضارة فيها، واضطلع من بعد ذلك بتنظيم احوال الارض وانهارها وبحارها، فملاً نهري دجلة والفرات بالمياه العذبة وبالاسماك، واوجد احراش القصب، وآاجر وكثّر الحيوانات. ومن اجل تنظيم شؤون المجتمع الانساني عين آلهة يتولى كل منها ناحية معينة من النشاط الحضاري. فمثلاً خصص للاشراف على الانهار وشؤون الري إلهها اسمه انبيلولو والإله اينكمدو للفلاحة والزراعة والإلهة اشنان للخضار والغلل، والإله دموزي تموز للماشية والرعي وغيرهم^(١).

- المرحلة الثانية:

تحدد هذه المرحلة من الناحية الزمنية بالالف الثاني ق.م وتقترن مع اهم المراحل التي تطور فيها الفكر الجغرافي، فقد تم تأليف العديد من معاجم وقوائم الاسماء الجغرافية التي تضمنت اسماء مدن واقاليم داخل بلاد الرافدين وخارجها، والتي اضافت بدورها واقعاً جديداً للرحلات فضلا عن توفيرها معلومات اضافية وجديدة عن تلك الاقطار. وفيما يأتي اهم الرحلات التي برزت في هذه المرحلة:

رحلة ملك الحرب ونقرأ في الملحمة التي تحمل ذات الأسم إشارة الى الطرق والمسالك، فمن خلال هذه الملحمة نجد ان مجموعة من التجار الاكديين في مدينة بورشخندا *purushanda* (أجم هويوك في اسيا الصغرى-تركيا حالياً-) قد نالهم بعض الظلم من حاكم المدينة مما دفعهم الى طلب النجدة من الملك شروكين (سرجون) الأكدي وعند عزم الاخير على تجهيز حملة لنجدتهم، حاول احد مستشاريه أن يثنيه عن عزمه، لمصاعب الطريق الا ان شروكين قد ردّ عليه قائلاً:

- "هل يأتي السلام الينا من ذاته ونحن جالسون على الكرسي، لا بد لي من الذهاب الى هناك حتى لو كان الطريق متعباً لنا"، ومضى لما عزم، وخفّ لنجدة التجار، اذ طلب من ادلاء الطرق والرحلات معلومات للاستطلاع العميق عن المنطقة قائلاً:

- "اريد المعلومات الكافية عن الطريق المؤدية اليها وعن بورشخندا وما نوعية الجبال التي سنمر بها"، وكان الجواب: "الطريق الى بورشخندا يا سيدي، طريق صعب ومرهق عند السفر ويستغرق وقتاً طويلاً لقطعه والجبال التي ستواجهنا جبال ضخمة وتحتوي على الاثمد (الكحل)

(١) المصدر نفسه، ص ٩٠ - ٩١.

وحجر اللازورد والذهب وتنتبت عليها اشجار التفاح والتين وخشب البقس ومليئة بالاحراش^(١). وبعد سماع شروكين لهذه المعلومات توجه الى بورشخندا، وعندما وصل الى المنطقة الجبلية التي وصفت له، شرع في قطع الاشجار التي تعترض طريقه ليفتح بذلك طريقا ممهداً لمسير جيشه، بعدها عبر نهراً على الرغم من فيضانه، وتم له أخيراً فتح المدينة، وأعاد الحق للتجار الاكديين، ثم عفى عن حاكم المدينة^(٢).

ولكن افضل أنموذج وأكثر الرحلات اهمية في هذا الصنف من الادبيات الجغرافية القديمة، نص بابلي قديم يعود الى الالف الثاني ق.م، عُرف بـ **رحلة بابلية قديمة**^(٣)، او **الطريق الى ايمار**، ويحتوي على مسارات او مخططات رحلة (Itinerary) ذهاباً واياباً، مع ذكر المسافة بين مدينة واخرى والزمن الذي تستغرقه الرحلة بين هذه المدن، حتى ان احد الباحثين وصفها بـ **دليل السائح** او **مرشد المسافر**^(٤)، ويصف هذا النص طريقاً من بلاد الرافدين وتحديداً من مدينة لارسا (السنكرة) الى بلاد آشور مروراً بشمالي سوريا ومنها الى جنوبي تركيا وكانت كل تلك المحطات المذكورة **الرئيسية والثانوية** تبعد احداها عن الاخرى مسيرة يوم واحد، واذا ما استغرقت اكثر من ليلة واحدة في مكان ما، تتم ملاحظة ذلك بعبارات مثل **عندما انكسرت العربة** او **عندما توقف الجند للراحة على مدى يومين** وكانت رحلة كل يوم تستغرق ٢٥ - ٣٠ كم تقريباً^(٥).

(١) رشيد، فوزي: سرجون الاكدي، الموسوعة الذهبية، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ص ٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٣) يعرف هذا النص في ثلاث نسخ مختلفة بالمعطيات والارقام بما يكفي او يسمح للمقارنة والافادة احداها من الاخرى (انظر الاشكال الموضحة للنص المسماري للرحلة في الملحق رقم ٢)، ولذا يطرح سؤال بخصوص ما اذا كانت تمثل الأنموذج النصي المتمائل عينه، والمرجح على اية حال ان وجود النصوص المتقابلة او المتوازية والاختلاف فيما بينها انما يمكن تفسيره بالافتراض القائل ان **الرحلة هي جزء من حملة ملكية في طريقها لان تصبح نصاً ادبياً**. Goetze, albrecht, "An Old Babylonian Itinerary", JCS, Vol. 7, no.2, 1953, P. 54-55.

(٤) باقر، طه مقدمة في تأريخ الحضارات، ج ١، ص ٣١.

(٥) ابدى الباحث ادزارد (Edzard) شكوكاً وتحفظاً حول دقة معطيات ومعلومات هذا النص وغيره اذ يرى ان هذه الادلة لا توضح مسافات موثوقة لانه عندما يورد كاتب النص (سبعة ايام من أ - ب، خمسة ايام من ب - ج فان الزمن قد يتضمن ايام توقف في رحلة ما او لا يتضمن ذلك، فضلاً عن ان اعادة صياغة ادلة السفر التجارية الآشورية القديمة بين آشور وكانش وهي النصوص التي وضحت وجود مستوطنات آشورية عرفت بـ **كارم karum** أي: غرفة تجارة، او رصيف تحميل في كبدوكيا في اسيا الصغرى بالعصر الآشوري القديم، وهي ادلة مستندة الى رسائل خاصة فردية وليس الى بحث جغرافي. للمزيد ينظر:

Edzard, D. O., "The Ideas of Babylonian Geography", SUMER, Vol. 21, 1985, P. 11

وهذا يطابق السفر على الاقدام او في النهر بوساطة القارب^(١).

وتستهل الرحلة بالعبارة الآتية:

من مساء اليوم السادس والعشرين من شهر أَدْرُ *addaru* - شباط - اذار حتى الرابع من شهر ايارُ *aiaru* - نيسان - ايار، المجموع شهر و ٨ ايام (لعل المراد من ذكر هذه الحصيلة المجموعة هي المسافة من لارسا الى آشور).

أ. الرحلة الاولى: تتضمن ٧ محطات وتشتمل على المسافة بين المحطتين الرئيسيتين:

- من لارسا (السنكرة حالياً) الى سبار.

يفترض ان يكون قد تضمنت المسافة من لارسا الى بابل مع ذكر ثلاث محطات الى جانب المحطات الآتية:

من مدينة بياءُ *baia'u* الى خومَ *hūmma*.

من سبار صيرم *sippar šêrim* - سبار دورم *sippar dûrim*، ودون الكاتب عدد الايام التي قطعها الجيش من بابل الى سبار مسيرة خمسة ايام ومن بابل الى سبار صيرم مسيرة خمسة ايام ايضاً^(٢).

ب. الرحلة الثانية: وتتضمن ١٢ محطة، وتشتمل على المسافة بين المحطتين الرئيسيتين:

- من سبار (ابو حبة حالياً قرب اليوسفية) الى آشور:

من دور - ابل - سين *sin - dur apil* تحركنا الى (خَبْرَتَم *hibaritum* - محطة قطار التاجي حالياً -) كارككلاتم *kar kakkulatim* - محطة قطار سميكة، (سميجة حالياً) كارشمش *kar šamaš* - (تل المطاب حالياً) على بعد حوالي (٢٠-٢٥) كم اعلى فتحة نهر العظيم على نهر دجلة^(٣).

(1) Nemet - Negat, Karen Rhea, "Daily Life in Ancient Mesopotamia", Hendrckson Publishers, 2002, P. 95.

(2) Goetze, OpCit., P. 51 .

(٣) دَوْن الكاتب المسافة بين سبار وصيرم ودور ابل - سين بـ مسيرة ١٠ ايام بينما دَوْن المسافة بين المحطة الاخيرة وبين كل محطة من المحطات اللاحقة بـ مسيرة يوم واحد لكل واحدة (Ibid, P. 51).

- مَنكِسِ *mankisi* (تل كُرّ) على نهر دجلة وهنا دون الكاتب ملاحظة البقاء او المكوث اربعة ايام وهي ملاحظة لها ما يسوغها من خلال الاشارة التي اضافها الكاتب بينما تجمع الجيش ووصلت القوارب مما يعني ان مَنكِسِ هي ميناء وان الرحلة استؤنفت بطريق النهر⁽¹⁾.

ثم يستطرد الكاتب بايراد بقية المحطات: خِشْتُم *hišatum* (ربما تتطابق مع العيث)- قبالة تكريت- - بُلُكُو *pulukkû* (ربما تطابق مع البلاييج⁽²⁾ حالياغرب اشور)- يَخْبَل *iahappila* (من المفترض ان موضع يخبل هو بالقرب من سامراء ولكن النص المسماري اورده هنا بعد تكريت!؟) - مارمِيئُو *mārma/enû* (ربما تمثل الفتحة حالياً بين ثضاء بيحي وجبل مكحول وربما تمثل تل مارموس حالياً قبالة قلعة الجبار بالقرب من جبل مكحول على نهر دجلة جنوب آشور) - سوتا [-....] وفي نسخة اخرى سَقَّقُو *suqaqû* - (خربة المسحَق - المسحك-بالقرب من جبل مكحول حالياً) واورد الكاتب المسافة بين كل محطة من هذه المحطات الخمس بمسيرة يوم واحد باستثناء المسافة بين مارمئو وسَقَّقُو مسيرة يومين.

ان بنية هذا النص تشكل خروجاً عن المؤلف ، في اعلاها يفترض وجود دولة تبعد مسافة يومين ويفترض الباحث كوتزه ان الاسم (اوزيئي) *[u-zu-ub-b]e-e* ويعني الرسو حيث تترك القوارب الى الجنوب من تحول النهر في منطقة جبلية تعرف بالفتحة لان اندفاع التيار هنا يجعل من المستحيل على الزوارق ان تستمر شمالاً - ويفترض على الرغم من التشوهات في النص ان المحطة التي يراد الوصول اليها هي اشور⁽³⁾.

ثم يحدد الكاتب المسافة بين مدينة سَقَّقُو وبين مدينة (آشور - قلعة الشرقاط حالياً -) ب (مسيرة يوم واحد).

ثم يختتم هذه الرحلة بمدينة إكلاتم *ekallatum* هذا الاسم تشترك فيه مدينتين فان ورد بصيغة الجمع فالمقصود به مدينة ايكالاتي -تلول الهيكل - شمال شرقي اشور ان كانت بالزوارق ووردت بصيغة المفرد فالمقصود به مدية ايكالاتو - تل الذهب- بالقرب من جبل مكحول جنوب اشور حالياً ان كانت مسيراً) والمسافة بينها وبين آشور التي تقع قبلها مسيرة يوم واحد⁽⁴⁾، ومن ايكالاتم تاخذ الرحلة مسارا لا يشاطئ نهر دجلة وسلكت طريقا برياً فيما يعرف بالجزيرة الفراتية (بين دجلة والفرات).

(1)Goetze, OpCit, P. 51.

(2)ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان (مادة بلاييج).

(3)Ibid, P. 57.

(4) Halo, w.w, "The Road to Eamr", *JCS* 18, 1964, P. 63.

ج. الرحلة الثالثة: وتتضمن ١٣ محطة وتشتمل على المسافة بين المحطتين الرئيسيتين:

- من آشور الى آشناكم مع ذكر المحطات الاتية:

بننو *binanū* (ربما تتطابق مع خربة بيجوانية جنوب ناحية الشورة في الموصل في العراق)-
سقا *saqā* (ربما تتطابق مع قرية الزركه حالياً جنوب شرق المحلبية في الموصل في العراق)
سليبيا *s/zalipa* (ربما تتطابق مع تل الريس في بادوش شمال غربي الموصل في العراق)- ابقم
apqum (ابو ماريا غرب الموصل في العراق حالياً)- كشكش *kiškiš*^(١) (ربما تطابق مع (تل
كشكشوك) ويقع في مركز محافظة الحسكة شمال شرقي سوريا)- يابتورم *iapturum* (تل القوز
شمال شرقي سوريا أو ربما تتطابق مع قرية ابطخ الشور بالقرب من ناحية ربيعة شمال غرب
الموصل في العراق)- تار خوش *tārhuš* (تل قوز شمال سوريا حالياً) ويذكر النص
المسافات من سلب - ترخوش **مسيرة يوم واحد** بين كل محطة، ومن تارخوش الى شوبات انليل
(تل ليلان شمال سوريا حالياً) **مسيرة ثلاثة ايام** ومن شوبات انليل الى شونا *šunā* **مسيرة يوم
واحد** ومن شونا الى اشنك *ašnakki* (تل شاغر بازار شمال سوريا حالياً) **مسيرة ثلاثة ايام** -
آلان *alān*^(٢).

ثم تأتي بقية المحطات الاخرى: (بناخزو *panāhzū*) (ممكر *mamagiri*) والمسافة
التي يوردها الكاتب كذلك بين كل محطة **مسيرة يوم واحد**^(٣).

د. الرحلة الرابعة: تتضمن ثلاث محطات، وتشتمل على المسافة بين المحطتين الرئيسيتين:

(١) عندما وصل الكاتب الى ذكر مدينة كشكش *kiškiš* اشار الى انهم قد قطعوا حتى ذلك المكان ٢٠ يوماً منذ انطلاق الرحلة.

(٢) يعطينا النص هنا ملاحظة اخرى وهي ان اجمالي المحطات السابقة من *kiškiš* قد بلغ مسيرة ١٠ ايام.
(3) Halo, w.w, "The Road to Emar", Op. Cit, P. 63.

- من اشنكوم الى خَران^(١) مع ذكر المحطات الاتية:

لِبَّ شَدَّ اسام أبا *libbi šad asam u abā* - سموئي *samue* - لِبَّ خَرَان *libbi harranu* (حاران في تركيا حالياً) .

هـ. الرحلة الخامسة: تتضمن ١١ محطة وتشتمل على المسافة بين المحطتين الرئيسيتين: من خَران الى ايمار مع ذكر المحطات الاتية:

أَبِقُ شَ بِالخ *abqu ša baliha* (عين العروس او تل جدله شمال سوريا حالياً) صاخلالا *šāhlala* - زالباخ *zālpāh* (زلبا على نهر البليخ شمال سوريا او بالقرب من سروج في تركيا حالياً) - صيرق - اُخَنَ *šērqi ahuna* - (سرين في سوريا حالياً) والمسافة بين كل محطة واخرى أشير اليها بـ **مسيرة يوم واحد**^(٢)، ثم يذكر المسافة من صيرق اُخَنَ الى توتول (تل البيعة بالقرب من الرقة في سوريا^(٣)) **مسيرة يومين**.

ويمضي الكاتب في سَوق المسافات بين المحطات الاخرى: من توتول الى اخ بُرْتَم *ah purattim* (ضفة الفرات) **مسيرة يوم** ومن اخ بُرَاتَم الى اباتم **مسيرة يومين** ومن أباتم - أخ بُرْتَم - ومن أخ براتم - أخ براتم **مسيرة يوم واحد لكل منهما على التوالي** ومن اخ برتم الى اشار با. أخ. را. اخ *ašār BA. AH. RA izihu* **مسيرة يومين** ومن المحطة الاخرى الى ايمارلُئِم *emar libbum* - (أسكي مسكنا حالياً او تل عضيمة غربية في سوريا) **مسيرة يوم واحد**، كما يذكر النص ان الجيش مكث في ايمار ١٩ يوماً^(٤) كما توجد ملاحظة في الحافة السفلى (الحاشية) للرقيم تشير الى مجموع الايام وهي شهران و٢٧ يوماً^(٥).

ويستمر النص ليخبرنا عن طريق اخر للعودة مغاير لطريق الذهاب من هذه الرحلة الى النقطة (أ) وهي نقطة انطلاق وبداية الرحلة الا وهي مدينة لارسا، اذ نقراً: - مسيرة ... من ...]

(١) خَرَانُ (حَرَانُ حالياً) مدينة تقع بالقرب من مدينة اورفا يعني اسمها بالاكديية **الطريق** مما يعني انها كانت محطة مهمة على مر العصور للقوافل والحملات، وقد ازدهرت في العصر البابلي الحديث بكونها مركزاً لعبادة الإله سين، واولاها الملك البابلي نبونائيد عناية كبيرة باتخاذها مركزاً دينياً وكانت احدى اهم = المقاطعات في العصر الآشوري الحديث. للمزيد ينظر الاطرقجي، رمزية محمد: حران مدينة لها تأريخ، بحث منشور مقدم الى الندوة القطرية السابعة في مركز احياء التراث العربي، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص ٣١٧ - ٣٣٣.

(2) Hallo, "The Road to Emar", Op. Cit, P. 64.

(٣) وهناك مدينة اخرى تحمل الاسم نفسه وهي توتول=هيت الحالية.

(٤) هي اخر محطة في هذه الرحلة الشهيرة التي حملت اسمها اذ اصطلح الباحثون على تسميتها الطريق الى ايمار. وهي مدينة شمال غرب سوريا تُعرف بقاياها اليوم بـ (اسكي مسكنا).

(5) Hallo, Op. Cit, P. 64.

لاته (م) *lāttu [m]* ... الى اخ بُرَّتَم *ah purattum* ومسيرة ... من الاخيرة الى (أ) باتم
(a) bāttum (قلعة جعبر يبالقرب من سد الفرات غير مدينة الرقة او قلعة النجم في سوريا
حالياً) ومسيرة ... من الاخيرة الى توتول ومسيرة ... من توتول الى صيرق أخون - *šēri*
ahuna - (تل حاجب أو تل السيمان في سوريا حالياً) ومسيرة يوم من الاخيرة الى زلباخ
zālpāh - ومسيرة ... من زلباخ الى ابقم ش بلخ (تل جدله حالياً) ومسيرة ... من الاخيرة الى
خرائم *harranum* - (حران جنوب تركيا حالياً) ومسيرة ... من حران الى سخلد *sahulda*
ومسيرة يوم واحد من سخلد الى خزر *haziri* - (سلطان تبه في تركيا حالياً) ومسيرة يومين من
خزر الى أد/تم، ويسوق لنا كاتب النص بقية المحطات التي تكون المسافة بين كل محطة واخرى
مسيرة يوم واحد وهي على التوالي: خبرميش *huburmeš* - با. مير. أش. PA. MIR. UŠ
- وهي صيغة سومرية لاسم كوزانا (تل حلف شمال سوريا حالياً) - توند *tūnda* - كويشم
kūšum - باكتن *paktanu* كلزن *kulzalanu* (تل بارم في سوريا حالياً) (1)، ثم يذكر
الكاتب مسيرة ١٠ ايام من اشناكم - (تل شاغر بازار في مثلث الخابور شمال سوريا حالياً) الى
اوركيش *urges* (تل عامودا شمال سوريا حالياً) ومسيرة يوم واحد من اوركيش الى شنا *šunā*
(تل الحميدية شمال سوريا حالياً) ومسيرة ٢٦ يوماً من شونا الى (خرسين *harsin* - بالقرب
من نصيبين في تركيا) ومسيرة يوم واحد من خارسين الى شبات انليل *En. LÍL šupāt* (تل
ليلان شمال شرقي سوريا حالياً) ومسيرة ٨ ايام من شبات انليل الى تارخوش *tarhūš* (تل قاوز
شمال سوريا حالياً) ، ويستطرد الكاتب في سرد طائفة اخرى من المحطات التي تكون المسافة
(مسيرة يوم واحد) بين محطة واخرى: ممكير *mamagīrri* وترد احيانا بصيغة *girrum* (راس
العين شمال سوريا حالياً) او ربما تتطابق مع بئر عكلة او جلبارات شمال غرب الموصل وهي
التي عرفت فيما بعد في العصور الاسلامية باسم (برقعيد) واللفظان الاكدي والارامي يدلان على
الاستقرار والثبوت والقعود ويعنيان (ابن القعود او الاستقرار ، مما يعني انها كانت تمثل محطة
لاستراحة القوافل) والمواقع التالية تقع ضمن العراق في الوقت الحاضر، لادا *lādā* (ربما تتطابق
مع تل ابو ظاهر شمال غرب الموصل) - كالز *kālizi* (ربما تتطابق مع قرية الجيساري
شمال ناحية زمّار شمال غربي الموصل) - مرّتا *marratā* (ربما تتطابق مع وادي المر
بالقرب من بلد (اسكي موصل)) - زلنبا *zalipā* (ربما تتطابق مع بفرأ حالياً شرق الموصل) أدو
adū (ربما تتطابق مع قرية البدرية او القصر شرقي الموصل) - كاميلخ (ربما تكون صيغة
قديمة لاسم المدينة الاشورية كلخو (نمرود)) *kāmīlhu* - (...) - (...) - دور ... *dur* ... -
مكلا *magalā* - الكامينيا *al. ka. mi. ni. a*، ومسيرة يومين من سبر *sippar* الى بابل

(1) Goetze, "An old", Op. Cit, P. 54.

babilum ومسيرة ١٣ يوماً من بابل الى خَبَبَ *haphappi*، ومسيرة يوم واحد بين محطة واخرى لكل من: إبْلَخ *iplah* - سَنَسَبِ *sanasapi* - رَزَمَ *razama* - لَرَسَمَ (لارسا) *larsam*، كما دَوّن لنا الكاتب في ختام لوح الرحلة^(١) بأسفله. ملاحظة: المجموع ستة اشهر واربعة عشر يوماً ذهاباً واياباً^(٢).

وقد تم تأكيد المواقع الجغرافية القديمة الواردة في الرحلة بما يطابق الجغرافية الحديثة عموماً فيها. ان مجرد نظرة الى معجم التراث الجغرافي في النصوص المسمارية^(٣):

ستظهر مدى اعتماد الجغرافية التاريخية في تلك الفترة على ادب الرحلات: فمن بين ٦٠ اسماً قديماً لمدينة كبرى وصغرى محدد موقعها بصورة قطعية او على نحو مؤقت في خريطة منطقة الشرق الأدنى القديم، هناك ١٥ اسماً يتكرر في الرحلة، ويمكن تحديد مواقع ٥٠ اسماً اخر بالرجوع الى الرحلة أيضاً^(٤) ان تتبع خرائط الارض يدل على ان الكثير مما لم يكن معروفاً من قبل اصبح الان معروفاً مما يعطي صورة اوضح للمعرفة الجغرافية فهناك الكثير من المواقع التي يمكن التكهن باماكنها على الارض، وذلك ما تمت معرفته بعد طباعة الادبيات الجغرافية الحديثة، ولكي تتضح الصورة اكثر، حدد احد الباحثين المعاصرين على وجه الدقة ان مسافة الرحلة ربما تتراوح بين ٢٥ - ٣٠ كم في اليوم الواحد وهذا ما تم تحديده على خريطة الارض التي اعتمدت مخططات ومسارات الرحلة (Itinerary) (ينظر: مخطط الرحلة في الملاحق) وغني عن القول هنا ان اثنين من اكثر المواقع اهمية وتوثيقاً اعتمادا على الرحلة قد تأكدا بصورة محسومة من خلال التنقيبات الاخيرة في موقعي (تل ليلان) = شُبَات انليل *ENLÍL* *šubat*

(١) خلت الرحلة من ذكر تاريخ النص لذا كان على الباحثين التكهن به اعتماداً على النص نفسه اذ يأتي ذكر دور ابل-سين *sin - dur apil* وهي قلعة اخذت اسمها من *sin - apil* (١٨٢٠-١٨١٣ ق.م) ملك بابل الذي حكمها قبل الملك الذي سبق حمورابي، والرحلة من لارسا الى بابل وسبار لم تتجاوز بلاد الرافدين عبر حدود بلد اخر، من هنا فأن النص يشير الى ان جنوبي العراق كان دولة موحدة، وهذا لم يكن متحققاً قبل توحيد حمورابي (حمورابي) لبلاد الرافدين في السنة ٣٠ من حكمه وتستمر الرحلة الى مانكيس والى اراضي كانت جزءاً من اشنونا ثم يأتي شمالاً الى دجلة ثم تمر بأشور ثم تخرق اعالي بلاد الرافدين والى مناطق كانت تحت حكم زميريم، ولا ترينا الرحلة أي نفوذ للكشيين في وادي دجلة من مانكيسوم وحتى نينوى، إذ لم يكن الكاشيون قد احتلوا اراضي العراق بعد (Ibid, P.54).

(2) Ibid, P. 54 - 55.

(3) Rollig, W, (ed.), **RGTC** = Repertoire Geographique des Textes Cuniformes, Wiesbaden, (1974 -).

(4) Hallo, "Origins", Op. Cit, PP. 91 - 92.

و(اسكي مسكنا) = ايمار (EMAR) نفسها، وثالثا يقع في (تلول الهيكل - الهيكل -) = اكلاتم (ekalūtum)^(١).

ولعل من المفيد مقارنة الطريق عبر بلاد الرافدين^(٢) من دجلة الى الفرات مع الرحلة والطريق من آشور الى كانش الذي سلكها التجار الآشوريون الذين كان مركزهم في كانش التابع لاقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى قبل قرن ونصف من رحلة الطريق الى ايمار، ولا بد ان تكون هناك بحكم طبيعة الامور علاقة بين الطريقين. ولسوء الحظ ليس لدينا في رقم (كول تبة)^(٣) مخطط لمسار رحلة الا ان الباحث Goetze واستنادا الى معطيات تلك النصوص وبياناتها تمكن من إعادة بناءها وتقديم صورة جزئية كما في المخطط الذي يوضح طريق القوافل في العصر الآشوري القديم^(٤) (ينظر مخطط الطرق في الملحق رقم ٣) وتشير النصوص المكتشفة في قانش من رسائل وغيرها الى ان المدة التي تستغرقها الرحلة تتجاوز الشهرين اما المسافة فتقدر بـ ١٣٠ بيرو = ١٤٠٤ كم ، وهي رحلة طويلة جدا حتى بالنسبة لوسائط النقل الموجودة حاليا، لأنها تجتاز مناطق وعرة وصعبة، وتحتاج الى احتياطات امنية كثيرة، يؤكد ذلك ان بعض التجار كانوا يخطفون وهم في طريقهم الى بلاد الاناضول، كما تشير الى ذلك بعض النصوص. وكانت المدن والقرى الواقعة على الطريق تهيئ للقافلة التجارية مستلزماتها من المواد الغذائية والمؤن كما كانت هناك محطة في وسط الطريق يتوافر فيها عدد من الأجراء الذين يرافقون القافلة، وكان على القافلة ان تدفع الضرائب (عشور التجارة) الى جباة البلدان التي تمر بها، وربما كان هناك طرق فرعية يسلكها بعض المهريين من التجار الذين يتحاشون المرور من مراصد ومرافق المكوس، اذ ورد ذكر طريق المهريين^(٥).

(1) Hallo, W.W, "The Road to Emar", PP. 81.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن اهم الطرق والمسالك البرية والبحرية والنهرية التي سلكها العراقيون القدماء طوال عصرهم ينظر: باقر، طه: مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج ١، ص ٣١ - ٣٤، والحمداني، ياسر هاشم: وسائط النقل في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٢، ص ١٨ - ٢٣.

(٣) عن طبيعة هذه الرقيم المسمارية ومضامينها ينظر:

Larsen, M. T, "Old Assyrian Carvan Procedures", Istanbul, 1967.

(4) Goetze, "AN old", Op. Cit, P. 64.

(٥) سليمان، عامر: النظم المالية والاقتصادية، العراق في موكب الحضارة - الاصاله والتاثير، ج ١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣٨٥.

- المرحلة الثالثة:

تحدد هذه المرحلة من الناحية الزمنية بالآلاف الأول ق.م، وفي هذه الفترة أخذت الرحلات تنمو وتتطور نتيجة لتطور المفاهيم الجغرافية ووفرة المعلومات، فأصبحت تتميز بظهور الفكر الأدبي، الذي تمثله قصة الرحلة أو الحملة، وبذلك بدأت الرحلة تقترب من التكامل والنضوج فشملت أوصاف المدن وحاجتها وعادات الناس، أي أنها أخذت تشمل الجانبين الطبيعي والبشري، كما نلمسها في العديد من حوليات^(١) الملوك الآشوريين التي سطرّوها على الواح جدارية خلّدت حملاتهم على اصقاع شاسعة من بلدان الشرق الأدنى القديم فلم تعد الحملات الآشورية كلها قتالاً. ففي الأقل كان بعض الآشوريين، وبالتأكيد بعض الملوك، يحصلون على متعة كبيرة في هذه الحملات العسكرية إلى المنطقة الجبلية، بشكل مستقل تماماً عن اعتبارات الاشتراك في المعركة. فقد كانت الجبال شرقي وشمال بلاد آشور من حيث المشاهد وفي الصيف من حيث المناخ طيبة جداً وقد سجل بعض الملوك ردود أفعالهم تجاه ذلك وكان شروكين (سرجون) الآشوري (٧٢١-٧٠٥ ق.م) مندهشاً جداً بمناظر جبال زاكروس وكذلك كان سين - أخي - إيريبا (سنحاريب ٧٠٤-٦٨١ ق.م) ابنه وخلفه، والذي وجد متعة في المغامرة بالجبل. فعند تسلقه جبلاً عالياً لتعقب بعض الجبلين المناوئين، كتب لنا نبذة بسيطة: "لقد قمت بالقيادة مثل ثور وحشي هائج مع حرسى المنتخبين وقوات المشاة. لقد عبرت الوديان والسهول والممرات والمنحدرات الخطرة بهودجي. وعندما كانت صعبة جداً للسير بالهودج مشيت على قدميّ وذهبت اتعقب إلى أعلى القمم مثل الغزال، وعندما تعبت ركبائاي، جلست على صخرة جبلية وشربت ماءً بارداً من قريتي لأطفاء ظمئي"^(٢). وقدمت لنا حملة الملك شروكين سرجون الآشوري الثامنة على أورارتو والتي فاضت بوصف طوبوغرافية وطبيعة (بلاد أرمينيا وأذربيجان) فضلاً عن حملة الملك آشور - أخي - إيدينا (أسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م) الذي وصف لنا هو الآخر صحراء وبادي العرب في بلاد الشام وسيناء^(٣)، إلى جانب العديد من الحملات الأخرى، كما إن الرحلة في هذا العصر أخذت تميل إلى جانب التخصص الجغرافي وتبتعد قليلاً عن المنهج التاريخي. وأهم الرحلات التي برزت في هذه المرحلة هي:

(١) سنتناول جوانب عديدة من هذه الحوليات ولا سيما ما يتعلق منها بالمفاهيم الجغرافية التي ضمتها تلك الحوليات لها في الفصل الثاني ولاسيما المظاهر البشرية والطبيعية ومنها الطوبوغرافية بطبيعة الحال.

(٢) ساكز، قوة آشور، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٣) باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات، ج ١، ص ٦.

- رحلة الطريق الى زامو:

وصلتنا هذه الرحلة من العصر الآشوري الحديث ومن مكتبة الملك آشور بان ابل (آشور بانيبال) ويمثل هذا النص دليلاً لخطي سفر آشوريين، وعرف هذا النص **بالطريق الى زامو** التي تمثل حالياً منطقة السليمانية وسهل شهرزور الى بحيرة زيريبيور داخل الحدود الإيرانية، وساعد هذا الدليل على تحديد طريق بري يتجه من منطقة دجلة نحو الشرق الى المقاطعة التي تعرف في النصوص الآشورية الحديثة بصيغة (زامو)⁽¹⁾.

وتورد الرحلة اسماء العديد من المدن والقرى والمحطات الواقعة على طريق الرحلة، كما انها تذكر المسافة بين كل موقع مقاسة بوحدات متنوعة من مقاييس وحدات المساحة الطويلة كالفرسخ المضاعف (بيرو) والعصا والمرحلة، الا ان الملاحظ ان هناك كسراً وتهشماً في مكان الرقم الذي يسبق وحدة المسافة الطولية في اغلب الاسطر⁽²⁾، الامر الذي يؤدي والحالة هذه الى ارباك وصعوبة في احتمالية تقدير الرقم على النحو الدقيق ويترك الباب مفتوحاً امام التقدير المناسب مع وجود المحطات والمدن، اذ لا سبيل الى معرفة طبيعة المسير هل كان بطيئاً ام سريعاً مع ترجيح الاحتمال الاول لصعوبة تضاريس المنطقة:

الوجه

- ١- [KASKAL.KID (بيرو) *beru* × مراحل × +] عشر UŠ (عصا) من مدينة بَقَارِ *baqari* (تبه يعقوب جنوب كركوك حالياً) حتى سَرِي *sarē*.
- ٢- [× بيرو *beru* ومرحلة وعصا من] سَرِي (التون كوبري حالياً) وحتى مدينة ارزُخِنَ *arzuhina* (كوك تبه جنوب الزاب الاسفل حالياً) .
- ٣- [المجموع × بيرو *beru* و× NINDA (مرحلة) و× عصا من بَقَارِ *baqārri* وحتى ارزُخِنَ .
- ٤- المحط [ة الاولى] ستة ايام (من الشهر).
- ٥- [من ارزوخينا] وحتى دور - أتانات *dur atānāte* (حصن الأثن - اناث الحمار-) (تَوَكُّل شمال قضاء المقدادية-شهران - بمحافظة ديالى. او تل قره جوغ حالياً) .
- ٦- [- بيرو *beru* و× مراحل و× عصا] [اليوم] السابع [(من الشهر)], المحطة الثانية.

(1) Frayne, D. R., "The Early Dynastic List of Geographical Names", New Haven, Connexitcut, 1992, P. 74.

(٢) لذا رمزنا للمكان الخالي من الرقم بعلامة × الدالة على كسر وتلف النص في النصوص السامرية.

- ٧- [من دور - أتا] نات وحتى ماتورابا *maturaba*.
- ٨- [و] من ماتورابا حتى دور تلت *dur talite* (قلعة جمجمال بمحافظة السليمانية حالياً).
- ٩- [× بيرو *beru* ومرحلة و × عصا، من دور اتاناتي وحتى دور تلت].
- ١٠- [اليوم الثامن (من الشهر)، المرحلة [الثالثة]].
- ١١- [من دورت] لت وحتى بابيت *babite* (بازيان حالياً أو موضع في سهل شهرزور).
- ١٢- [و] من ببت وحتى [لاكلك *lāgalagi* (قرية اولوبولاغ حالياً على الضفة الغربية لنهر تاينال)].
- ١٣- [× بيرو *beru* و × مرحلة و × عصا من دور - ت] لت.
- ١٤- [وحتى لاكلك] [اليوم التاسع (من الشهر)، المحطة الرابعة].
- ١٥- [من لاكلك] وحتى ردان *radāni*^{id} (نهر العظيم).
- ١٦- [و] من نار ردان وحتى ازر *azari* (آزور او يازور حالياً جبل ازمر شرق السليمانية).
- ١٧- [× بيرو *beru* و × مرحلة و × عصا، من لا] لاكلك.
- ١٨- [وحتى ازر] [عشرة ايام (من الشهر) المحطة الخامسة].
- ١٩- [من ازر وحتى أ] راكد *arrākdi* (-بنكرد حالياً- في سهل شهرزور بالسليمانية).
- ٢٠- [× بيرو *beru* و × مرحلة و × عصا] [اليوم الحادي عشر (من الشهر) المحطة السادسة].
- ٢١- [× بيرو *beru* و × مرحلة و × عصا من أزا اكد] إي.
- ٢٢- وحتى ب] ارزوندي.
- قفا اللوح ١- × بيرو *beru* و ٥ مراحل و ٢٠ عصا من بارزوندي *bārzūndi*.
- ٢- وحتى ذ [ب]ك *napigi*.
- ٣- [× مرحلة و ٢٠ عصا من نيكك و] [حتى] دور آشور حصن آشور (بكرآوه حالياً في ناحية سيروان قضاء حلبجة جنوب شرق محافظة السليمانية).

- ٤- المجموع [١]٢ بيرو *beru* ومرحلتان و ٢٠ عصا من أراكذ.
- ٥- في اليوم الرابع عشر (من الشهر) المحطة السابعة.
- ٦- [من دور] - [أش] ور وحتى سيزن *sizini* (شايذانه حالياً) .
- ٧- [من سيزين] وحتى بنبَل *banbala*^(١).
- ٨- [× بيرو *beru* و × مرحلة و × عصا م [ن دور - آشور وحتى بنبَل].
- ٩- اليوم الخامس عشر (من الشهر) المحطة الثامنة.
- ١٠- [من بنبالا] ود [تّى قل] عة كُزَايا *gurraia*.
- ١١- [ومن قلعة] ة الكوريين (قبيلة بدوية ربما تضاهي قبيلة اوتوعو *utu'u*).
- ١٢- وحتى جففات (عرائش العنب) بيل خرّ [ان (تل عبطة حالياً) × بيرو *beru* و ٥ مراحل و ٥٠ عصا.
- ١٣- [من بنبَل ود] تى عرائش بل خرّان *GIŠ. Gupni šá^dEN. KASKAL*.
- ١٤- [اليوم السادس عشر (من الشهر)] المحطة التاسعة.
- ١٥- [من عرائش بل خرّان وحتى].
- ١٦- [قلعة] أدد - رِمَن *URU. halšu šá^{md}IM. Remani*.
- ١٧- [ومن ...] وحتى دور توكولتي - ابل إيشارا (حصن تكلاتبليزر الثالث (تل بارسب او تل احمر شرقي الفرات شمالي سوريا حالياً) المجموع.
- ١٨- مجموع × بيرو *beru* × مرحلة و + × عصا، من عرائش بل خرّان.
- ١٩- [وحتى دور توكو] لتي - ابل - ايشارا، اليوم السابع عشر (من النهر) المحطة العاشرة].
- ٢٠- بقية السطر تالف ومهشم.

ينظر (1) Levin, Louis. D. *SAAB*,3,1995=K 4675,1989,Vol. XI, PP. 11 - 12. كذلك SAA, XI, pp.11-12.

٢١- بقية السطر تالف ومهشم^(١) (انظر مخطط الرحلة في الملاحق (رقم ٢)).

خامساً: سعة الأفق الجغرافي:

اتسع الافق والمدى الجغرافي في حضارة بلاد الرافدين القديمة، فشمل مناطق واسعة من الشرق عن طريق التجارة والغزوات الخارجية والاسفار فقد عرفوا معظم اجزاء الجزيرة العربية ولاسيما المقاطعات الشرقية، مثل البحرين التي عُرِفَت بصيغَة (دلمون) وعُمان بصيغَة (مُكان) وسواحل البحر الاحمر وسبأ في اليمن، ومصر وبلاد الشام والاجزاء الجنوبية من بلاد الاناضول وبلاد عيلام والاجزاء الشمالية الغربية من بلاد فارس (إيران حالياً) ومعظم السواحل الشرقية للبحر المتوسط وجزره ومنها قبرص وكريت^(٢).

وكان الافق الجغرافي العراقي القديم يشمل البر والبحر، فهذا الملك شَرَوَكين (سرجون) الاكدي(٢٣٣٤-٢٢٧٩ق.م) يخبرنا في النص المتضمن ثبنا بفتوحاته ان حدود مملكته العامة تمتد من البحر العلوي (*A. AB. BA elīti*) أي: البحر المتوسط وبعض البلدان عبر ذلك البحر، والبحر السفلي (*A. AB. BA. šaplīti*) أي: الخليج العربي مقترنا بدلمون (البحرين) ومُكان (عُمان) ويمضي فيخبرنا عن الاقاليم من الشرق الى الغرب^(٣).

(1)SAA,XI,OP.Cit, PP. 12 – 13.

(٢) فضيل وزميله، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٣) الراوي، العلوم والمعارف، ص ٢٨٢ - تنظر تفصيل ذلك من ذكر للاقاليم والبلدان والحدود في مبحث الجغرافية الاقليمية من الفصل الثاني.

ويخبرنا في نص ثان انه وُحِد جميع بلاد سومر واكد ووصل الى سواحل الخليج العربي، وقام بغسل اسلحته في مياه الخليج، ثم توجه شروكين بعد ذلك بنشاطاته العسكرية الى الجبهات الاخرى، اذ تذكر النصوص انه ضم مدينة ايتو (هيت) وماري (تل الحريري قرب البوكمال) وجبال الارز (جبال الامانوس) وجبال الفضة (جبال طوروس) وبارموتي (جبل جبيل) ومدينة ايبلا (تل مردوخ بالقرب من حلب)، كما تذكر نصوص اخرى انه وصل الى جزيرة كفتارا (جزيرة كريت)^(١).

اما في العصر الآشوري الحديث (٩١١ - ٦١٢ ق.م) فقد بلغ الافق الجغرافي مدى ابعد ليشمل اقاليم ومناطق لم تكن قد خضعت من قبل لسيطرة الملوك العراقيين القدماء اذ يذكر الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني (٨٨٤ - ٨٥٩ ق.م) في احدى حولياته بعد ان يستهلها بتمجيد الإلهة آشور وشمس وادد وايراد بعض الالقاب الملكية ومنها: ... الملك الذي اخضع عند قدميه (الارض الممتدة) من الضفة الاخرى من دجلة وحتى جبل لبنان والبحر العظيم - البحر المتوسط - (وفي نص مماثل اخر - حتى مدينة كركميش - جرابلس حالياً - في بلاد خاتي (واخر) حتى بلاد خاتي وبلاد لاقو - غرب الرقة - باكملها وبلاد سوخو - عنه واطرافها - وبضمنها رابق - الرمادي حالياً - الذي غزا [البلاد] من منبع نهر سونباط وحتى قلب بلاد نيريب (وفي نص مواز "حتى بلاد اورارتو - ارمينيا واذريجان -" واخر "حتى مضيق جبل كرورو كويسنجق ورانيا أو حرير حالياً" واخر "حتى بلاد اورومو مترامية الاطراف" واخر بلاد شوبرو وقلب بلاد نيربو" واخر "حتى بلاد شوبرو") وضممت الى حدود بلادها (الارض الممتدة) من مضيق جبل كرورو وحتى بلاد كيلزانو، ومن الضفة الاخرى لنهر الزاب الاسفل حتى مدينة تل - باري الواقعة في اعالي بلاد زابان وحتى مدينتي تل - ش زبداني، وتل - ش - أبتاتي ومدينتي خيريمو وخاروت، اللتان هما قلعتان من قلاع كاردونياش - بلاد بابل - واعتبرت الناس من وادي مدينة [او جبل] بابيتو وحتى بلاد خاشمر (جبل دريندخان أو ازمر في السليمانية شمال شرق العراق حالياً) من الشعوب التابعة لي"^(٢).

ثم تتوالى المدييات الجغرافية بالاتساع لتصل مناطق اخرى اذ تشير احدى حوليات الملك الآشوري شروكين (سرجون) الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م) - الى حدود مملكته: "... شروكين سرجون الملك الذي اخضع ويعون من الإلهة آشورونابو ومردك بلدانا عديدة تحت حكم واحد ابتداءً من بلاد اياتانا (قبرص) الواقعة في عرض البحر باتجاه مغيب الشمس حتى تخوم

(١) سليمان، عامر: العراق في التأريخ القديم (موجز التأريخ السياسي)، ج ١، الموصل، ١٩٩٢، ص ١٥٤.

(2) RIMA, Vol. 2. P.54.

مصر وبلاد موسكي - بلاد امورو الواسعة وخاتي بأكملها وكل كويتم - بلاد الكوتيين وبلاد الميديين البعيدة على حافات جبال بيكني وبلاد ايبيلي وراشي الواقعة على تخوم بلاد عيلام، وجميع مناطق الاراميين الذي يقطنون على ضفتي دجلة ونهري سورابي واقنو وجميع انحاء سوتو وصحراء اياتبورو وكل ما فيها ومدينة تل خومبا التابعة لاراض العيلاميين وشمال بلاد بابل وجنوبها (كاردونياش) وكل مدن الكلدانيين وبلاد بيت ياكين على ساحل البحر المّر (الخليج العربي) وحتى تخوم دلمون (البحرين)، ونصب موظفيه حكاما عليها وبسط سلطة نفوذه عليهم"⁽¹⁾.

سادساً: رسم الخرائط والمخططات:

وهو ما سنتناوله لاحقاً بالتفصيل في الفصل الثالث من الدراسة.

(1) ARAB, II, 96.